المشرق

قِدَم الانسان

للاب يوسف خليل اليسوعي

طرح علينا احد الادباء المشكل التالي وسألنا ان نبدي فيهِ رأينا قال :

« ذهبَ قوم ان آدم خُلِق قبل المسيح بنحو اربعة آلاف سنة ولكنَّ الفيلسوف سپنسر (Spencer) اثبت انهُ وُجدت مع عظام الحيوان المدعو « مستودون » حراب صوانيَّة وغيرها من الادوات التي كان يستعملها لاصطياده شعوب تلك القرون الخاليَة وهي قرون طال عهد قِدَمها وهذا اعظم شاهد على قِدَم الانسان . وقال الاستاذ دريسر ما تعريبهُ : « اثبت لنا البحث ان الانسان كان موجوداً منذ مئات الوف من السنين ويستحيل علينا ان نجعل تاريخ العصر الجليدي الاوربي باقل من ربع مليون سنة ولقد كان الانسان قبل هذا العصر ولسوف يظهر لنا التفتيش انهُ كان بالعصر المدعو عند علماء الجيولوجيا « ميوسين (١) » (miocène) . فيكون الانسان معاصراً للحيوان الباند المسمى « مستودون» . ثم اورد حضرة المراسل الاديب بعض شهادات تؤيّد هذا الرأي وختمها بقوله : « فكيف نوفق بين هذا المذهب ومذهب اولائك الذين جعلوا المدة منذ آدم الى المسيح اربعة آلاف سنة وبضع سنين ؟ »

قلنا هذا بحث كان في كل زمن محلبةً للمناهضة بين العلماء فتضاربت فيهِ آراؤهم واختلفت اقوالهم وقام كل فريق منهم فاستعان ببيّنات وبراهين ظنَّها قاطعة لاثبات مذهبهِ وادحاض ما يعدّهُ عند خصمهِ زعماً واهناً ومحض افتراء . لكنَّ الله قدَّر لنا بمونهِ رجالاً من جهابذة العلوم التاريخيَّة والجيولوجيَّة فسبروا غور هذه الأبحاث وكشفوا القناع

(١) اعلم ان اصحاب الجيولوجيا قسموا العصر الثالث الى اربعة اقسام تختلف عهداً وقدماً واليك باسمائها : éocène, oligocène, miocène, pliocène وقد دُعيت هذه الطبقات بهذه الاسماء دلالةً على ما يظهر فيها من اجناس النبات الخالي فيدعونها ايوسان (éocène) ان كانت هذه الاجناس في اوَّل ظهورها ثم يدعونها ميوسان (miocène) او اوليغوسان (oligocène) او پليوسان (pliocène) على حسب ما تتوفَّر فيها هذه الاجناس من قليل الى كثير

عن بعض غوامضها وكان موقفهم موقف المنصف الخبير الذي لا يبدي رأياً الّا بعد البيّنة ولا يأخذهُ في حكمهِ تحامل ولا محاباة . منهم العلّامة دي لاپاران (de Lap-parent) احد اعضاء محفل المعارف في باريس فانهُ وضع في هذا البحث مقالات ضافية الاذيال نخصُّ بالذكر اجداها المدرجة آخرًا في مجلّة المراسل (١ فعلى مثل هؤلاء الأعلام نعتمد في بعض ما نثبتهُ في هذه المجالة . وليعلم القارئ اللبيب اننا دفعاً للملل وطلباً للجلاء سنكتفي بايراد براهين كلتا الفئتين لدعم مذهبهما وباظهار ما نراهُ ثابتاً او واهناً

١ مذهب المستندين الى الاسفار المقدسة

اتخذت فئة سنداً لرأيها ما وجدتهُ مدوّناً في التوراة والكتب المقدّسة لكنَّ في هذه الاسفار تبايناً على اختلاف النُّسخ الثلاث الشائعة بين العلماء اعني النسخة العبرانية الاصليَّة والترجمة السامريَّة والترجمة السبعينيَّة . فلا بأس اذًا من وضع جدولٍ للسنين الخالية منذ ابداع آدم الى السيد المسيح وفقاً لهذه النسخ :

	العبرانيَّة	السامريَّة	السبعينيَّة
آدم	١	١	١
الطوفان	١٦٥٦	١٦٥٦	٢٢٥٦
بناء برج بابل	١٧٧١	٢٢٨٨	٢٠٨٦
ولادة ابرهيم	٢٠٠٨	٢٧٤١	٣٤٣٧
ذهاب يعقوب الى مصر	٢٢٩٢	٢٨٨١	٣٧٣٧
ولادة موسى	٢٤٣٣	٣٠٢٤	٣٨٦٣
الخروج من مصر	٢٥١٣	٣١٠٤	٣٩٤٣
بناء الهيكل	٢٩٩٣	٣٦٨٥	٤٨١٥
سبي اليهود	٣٣٩٩	٤٠٩٥	٥٣٦٧
اطلاق سراح اليهود من السبي	٣٤٦٨	٤٤٦٤	٥٣٣٦
التاريخ المسيحي	٤٠٠٤	٤٧٠٠	٥٨٧٣

واعلم ان النسخة العبرانيَّة هي التي حُفظت في مملكة يهوذا وكُتبت باحرف كلدانيَّة ولقد آثرها قومٌ لان القديس ايرونيموس اختارها مع غزارة علمهِ ورائع فهمهِ ولان

١) اطلب عددها الصادر في ٢٥ ت ٢ (Le Correspondent, 25 Novembre, 1906)

الكنيسة لستعملتها فزادت بذلك على اعتبارها اعتبارًا . واما السامرية فانها كانت في مملكة اسرائيل وقد كُتبت وحدها باحرف قديمة عبرانية ربَّما شابهت تلك التي كان يكتب بها موسى . ولذا يفضِّلها كثير من العلماء على غيرها . ولا يخفى ان الترجمة السبعينية هي التي نقلها الى اليونانية السبعون شيخًا من اسرائيل ايام بطليموس الفيلادلفي نحو ثلاثمائة سنة قبل المسيح . وهي جديرة بالاعتبار لما كان للسبعين مترجمًا من الاعتناء بها وهم نخبة قومهم في العلم والحذق . ولعلَّهُ كان بيدهم من الكتب المخطوطة ما ساعدهم على زيادة التحقيق

فمن ثمَّ يرى المطالع ان حجج الذين يتخذون الكتاب المقدَّس دعمةً لرأيهم في هذه الابحاث لا تخلو من الوهن لان التوراة على اختلاف نسخها لا تُثبت لنا صريحًا عهد وجود الانسان بل كل ما دوَّنتهُ من عدد السنين بقي عديم القرار ولن يزال عرضةً للتنقيب . ولا يغضّ ذلك من شرف الكتاب العزيز فان ما وقع في هذه الارقام من الخلل صدر عن تغافل النسَّاخ والنَّقلة . وعلَّة ذلك امر سهل الحلّ لان العبرانيين يستعيضون في كتابة الارقام بكتابة حروف الهجاء على طريقة حساب الجمَّل عندنا . ولمَّا كان بعض تلك الحروف متشابهًا في الهيئة ابدل النسَّاخ واحدًا بآخر إمَّا سهوًا وإمَّا لعدم تفريقهم الحرفين المتشابهين . وهذا دأبهم في كل زمان . ولم يتعهَّد الرب باحداث الخوارق لحفظ هذه الارقام من آفات التصحيف والتحريف اذ ليس به ما يشوِّه حسن الآداب ويعكِّر صفاء العقائد الدينيَّة ويمسّ كنه نصّ الكتاب المقدَّس وذلك ما قصدهُ تعالى من وحي هذه الاسفار . ولقد طاش سهم من يزعم ان جهل السنين الغابرة منذ خلق آدم الى مجيء السيد المسيح يقيم العقبات بوجه خلاصنا ويُخلّ بقوام مفروضاتنا والامر واضح لا يحتاج الى بينة

وزد على ذلك انهُ ورد في الفصلين الخامس والحادي عشر من سفر التكوين جُلّ ما اتَّصل الينا من سلسلة نسب الآباء الاوَّلين فوجد بذلك فريق من العلماء القدمين والمحدثين حلاًّ للمشكل الذي نحن بصدده فقالوا : انهُ طرأ على هذه السلسلة بعض النقصان وأهملت بعض حلقاتها . ودعموا رأيهم بادلَّة جديرة بالاعتبار منها ان القديس متى اسقط عمدًا من سلسلة نسب المسيح اسماء ثلاثة ملوك معروفين وكذلك زاد القديس لوقا (٣٦:٣) في سلسلة الآباء الاوَّلين اسم قينان لم يذكر في التوراة . فلا

عجب والحالة هذه اذا اضرب واضع هذه السلسلة عن ذكر بعضهم لعلل نجهلها

واذا ما تأملت الآن بالبون العظيم بين ارقام النسخ الثلاث التي ذكرناها آنفاً وبحثت عمّا اوجب في الترجمتين السبعينيّة والسامريّة زيادة مئين من السنوات على النسخة العبرانيّة فانك حسب قول القديس اغسطينوس : « لا تجد جواباً شافياً لهذا السؤال » . ولاجل هذا الاختلاف لم تُبدِ الكنيسة الكاثوليكيّة حكمها بهذا الامر بل انها في كل آنٍ عدّتهُ مسألة علميّة واقعة تحت البحث ولم تخطئ مذاهب العلماء فيه اللهمّ ان لم تكن مجحفة بالحق ومناقضة لقائد ثابتة . وبياناً لصدق مقالنا اليك بجدول لبعض هذه الآراء مع القائلين بها ولم تزل الكنيسة رأياً منها :

اسماء المؤرّخين	عدد السنين بين مجيء السيد المسيح وخلق آدم
القديس ايرونيموس في مؤلّفهِ عن المسائل العبرانيّة	٣٩٤١
كرنيليوس الحجري اليسوعي	٣٩٥٢
فيلون العبراني	٣٩٥٧
باتافيوس اليسوعي	٣٩٨٢
الكردينال بلّارمينوس اليسوعي	٣٩٨٤
مرقس انطون كابلّي وتيرينو سوارز وناتالس اسكندر وكثيرون غيرهم	٤٠٠٠
بانينو وتورنلّي وغيرهما	٤٠٥١
اوريجانوس في شرح امثال القديس متّى	٤٨٣٠
القديس ابيفانيوس على قول مجمع نيقية الثاني	٥٠٠١
القديس ايزيدورس الاشبيلي	٥١٩٦
السنكار الروماني والقديس بيدا والكردينال بارونيوس	٥١٩٨
القديس اغسطينوس	٥٢٥١
التاريخ القسطنطيني	٥٥٠٨
يوسيفوس اليهودي	٥٥١٥
اسحق ڤوسيوس	٥٥٩٠
اكليمنضوس الاسكندري	٥٦٢٤
لاكتانسيوس	٥٨٠٠
القديس قبريانوس وغيره	٦٠٠٠
القديس يوليانوس رئيس طيطلة	٦٠١١
يوحنا من مون ربال	٦٩٨٤

فاصحاب كلّ هذه الآراء يستندون الى الاسفار المقدّسة . وذهب بعض الكاثوليك

الحدثين سيما في عصرنا ان المدة المذكورة تبلغ ٨٠٠٠ سنة بنيف

فيظهر مما تقدّم اوّلاً ان مسألة قِدَم الانسان من مدار العلم وان الكنيسة الكاثوليكيّة لم تقطع بها بل تركتها عرضةً للبحث والتنقيب . ثانياً ان معظم ادلّة القائلين بخلق آدم قبل السيد المسيح بنحو اربعة آلاف سنة بُني او كاد يُبنى على شفير هار لا قرار لهُ لدى صاحب الانتقاد . ثم ان اجوبة هذه الفئة على اعتراضات مناهضيها لا تقنع من تبصّر بالامر وامعن النظر بطبقات الارض وبما اكتُشف حديثاً من العاديّات وهياكل الحيوانات البائدة

فهو اذاً على معتقدنا رأيٌ اقرب للوهن منهُ للثبات والاصالة . والآن فلنجرِ البحث على قول من قالوا بقِدَم الانسان ولننظر ان كانوا اصابوا سهماً وصدقوا فيما اتوا بهِ من البينات تأييداً لزعمهم

٣ مذهب القائلين بخلق آدم منذ مئات الوف من السنين قبل السيد المسيح

قال العلّامة أوبرماير (Obermaier) الجيولوجي الشهير : « من يدقّق البحث في جغرافية البلاد ويدرس بحذق طبقات الارض ويمعن النظر مليّاً فيما تبرزهُ للعيان الاكتشافات الحديثة يُطلعنا وحدهُ على كنهِ تركيبها وقِدَم سكّانها . ومن يُثبت امرًا او ينفيهِ دون فحصٍ وإعمال فكرةٍ ويُسند رأيهُ على براهين واهنة فانهُ يُعرب عن جهالة مكابر او انهُ يأتي بما أتى بهِ لمآرب في النفس . وهذه آفة للعلم الصحيح »

ولعمري انهُ كلام جدير بان يكون شعارًا لكل كاتب وخطةً لما يخطّهُ كل يراع فنيهِ ومنهُ تُنفى الجهالة واللَّبس ويُؤمَن الشطط والمجازفة . وعليهِ فاننا نتحرّاهُ في كل ما نثبتهُ بهذه الاسطر

ذهب علماء الجيولوجيا ان الازمنة التي تقدمتنا منذ ابداع العالم تُقسم الى اربعة اطوار ما عدا الطور الذي نحن فيهِ الآن . وقد دفعهم الى هذا التقسيم ما اطّلعوا عليهِ من طبقات الارض المتعدّدة وبعض هياكل وبقايا حيوانات متنوّعة وغير ذلك مما تضيق عن تعداده هذه العجالة . لكنّ آراءهم تضاربت في تحديد الزمن اللازم لاستقرار كل طبقة في مقامها . ثم انهم بحثوا عن الانسان في خلال هذه الاطوار فلم يجدوا لهُ اثرًا في الاول والثاني وخالج الريب صدورهم فيما يتعلق بالطور الثالث فعقدت فئة منهم مؤتمرًا في مدينة بلوا (Blois) فاجمعوا الرأي ان يخوّلوا لاربعين جيولوجيًا المهمّة بكشف

القناع عن هذا البحث الغامض . فباشروا الحفريّات في تربة لا انكار انها من تكوين الطور الثالث وهي تربـة تاينه (gisement de Thenay) فلم يعثروا بعد الفحص المدقّق على اثرٍ للانســان . فقالوا انهُ ظهر في غرّة الطور الرابع . واذا ما سألنا عن قدم هذا الطـور وزمن ابتدائهِ وانتهائهِ وعمّا يغزرهُ تماماً عن غيرهِ فنكاد لا نلقي جوابين مقنّعين . قال الجيولوجي دي مورتيليه (de Mortillet) : « وُجد الانســان على الاقل منذ ٢٣٠,٠٠٠ او ٢٤٠,٠٠٠ سنة . وذهب غيرهُ ان قِدَم عهد المرء يبلغ ١٢٠,٠٠٠ سنة وهلمَّ جرًّا . وزعم كلّ ان ما لديهِ من الادلّة حملهُ على اثبات هذه الارقام على تباينها وتناقضها . واليك بعض مصادر هذه البيّنات :

١ (سلاح الاقدمين) كان الانســان لا سيّما في مستهلّ امرهِ عرضةً لهواجمْ الحيوانات الضارية فوجب عليهِ ان يخترع لنفسهِ من الادوات والاسلحة ما يتقي بهِ كل ملمّة ويدفع عنـهُ كل خطر فاتخذ اسلحة من الصوّان . انّما طور الظرّان يقسم الى زمنين احدهما اقدم عهدًا وهو زمن الحجر العادي المنحوت (paléolithique) والاخر احدث وهو زمن الحجر المصقول (néolithique) . ومن سمات الزمن الاوّل عدم وجود آثار الخزف فيهِ . فحيثما اكتُشف هذا الشكل من الصوان لم يُعثر على شيء من القطع الخزفيّة كأنّ اهل تلك الاعصار البعيدة لم يكونوا ليقفوا على صناعة الفخّارين وقد وجد علماء الجيولوجيا كثيرًا من هذه الاسلحة وهي فؤوس ومسالّ ومصاقل وغير ذلك نخصّ منها بالذكر ما وقف عليهِ احد المرسلين اليسوعيين في محطات شتّى من بلاد فينيقيـة كهدلون ونهر عقبيّة ونهر ابرهيم ونهر الجوز واطلياس ونهر بيروت وطرابلس وجبيتـا وجبيل ورأس الكلب ورأس بيروت ونهر الزهراني والمعاملتين (المشرق ١ : ٩٧—٣٥٣) . وبعض هذه الادوات كانت مختلطة بعظام حيوانات باد معظمها كالمتوث والكركند الطويل الشعر ودبّ المغاور الكبير والرنّة . فحاول المغالون بقِدم الانســان اتخاذ هذه الاكتشافات دعيمةً لرأيهم وزعموا انها بيّنات لا ردّ عليها فقالوا : ان غلظة هذه الاسلحة المكتشفة في كثير من اقطار المعمور تنبئ عن همجيّة البشر في كل فجّ ولكننا لا نعرف عصرًا من عصور التاريخ عمّت بهِ الهمجيّة جميع سكّان الارض فلا بدّ اذًا من الارتقـاء الى اجيال ما وراء التاريخ وذلك ممّا يستدعي مئات الوف من السنين . ثم ان الانسان ظهر في غرّة الطور الرابع من ازمنة العالم واما هذا الطور فكان

ابتداؤهُ قبل عهدنا بنحو ٢٣٠,٠٠٠ او ٢٤٠,٠٠٠ سنة فوجود الانسان اذًا عريق بالقدَم

هذه آراؤهم وعندنا انهم طاشوا سهمًا وانت ادلّتهم غير وافيـة بالمرام لاسباب نوردها باختصار:

اولًا ليس كل ظرٍ يحاكي المسالّ والفؤوس والمصاقل هيئةً ونحتًا يكون الانسان قد نحتهُ واستعملهُ لخدمتهِ وحاجاتهِ لان الصوان من مجرَّد تركيبهِ كثير الشظايا رقيقهـا سيَّما اذا اصطدم بحجر اصمّ او بمعدن صلب. وهذا ما اختبرهُ العلماء وعاينوهُ اثناء السنة الغابرة فانهم اكتشفوا على مقربة من باريس سهولًا واكمات ذات تربة طباشيريَّة تتخلّلها قطع من حجارة الصوان فاذا ما التصق بهذه الحجارة قليل من التراب ومرَّت عليها المياه. وبرَّت بعضها وصدمتهُ ببعض تكسَّرت على صور عجيبة تشبه اجمل الفؤوس والمسالّ واحكمها صنعًا وذلك بمدة بضع ساعات. وقد عاين هذا المشهـد كثير ممَّن اتخذوا الظرَّان برهانًا عدّوهُ متينًا لاثبات قِدَم الانسان فضعفت ثقتهم بهِ ونبذهُ بعضهم (١.

ثانيًا هب ان السلاح الظرَّاني كان مستعملًا في العصور الخاليـة ونحن نعتقد استعمالهُ فمن ذا الذي يثبت لنا انـهُ يرتقي الى مئات الوف من الاجيال؟ أطبقات الارض التي وُجد فيها؟ فكم من الطوارئ والتقلُّبات والتغيّرات طبيعيَّة كانت او غير طبيعيَّة حدثت على وجه كرتنا فأخَّرت وقدَّمت وخلطت طبقةً بطبقة اخرى. ثم ان تلك الاسلحة ثقلها تخرق الطبقات التي أُودعت فيها فتصل بعد لزمان الى اراضٍ اعرق في القِدَم من التي كانت فيها اوَّلًا كما شوهد بذلك الامتحان. فاعتراضات كهذه حبذت بالعلّامة ميتشل على اعادة النظر والبحث في الاسلحة الظرانيَّة وادَّت بـهِ الى الاقرار انها لا ترتقي عهدًا الَّا الى اربعة او خمسة آلاف سنة

ثالثًا ان الاغلاط التي غلطها ارباب هذا العلم اظهرت لنـا مرارًا وهن ادلّتهم وحذَّرتنا من اقوالهم. فان كثيرًا من الفعلة كانوا يأتونهم بمثل هذه الاسلحة ويجعلونها في حالة يتبيَّن منها انها قديمة طمعًا في الكسب فكان يشتريها هؤلاء العلماء بثمن غالٍ ثم يقدّرون لها من الازمان والمدَّات الوفًا وآلاف الوف مع انهُ لم يكن مضى عليهـا لا سنة ولا نصف سنة وحينئذٍ تنكشف اغاليطهم فيرجعون خاسرين

(١ اطلب مجلَّة المراسل (Le Correspondant, 25 Décembre, 1905, et 25 No-vembre, 1906)

واما قولهم بان الطور الرابع ابتدأ منذ ٢٣٠٠٠٠ سنة فانهُ محض حدس ووهم لا دليل ثابت يدعمهُ الى الآن ويشهد لنا بذلك تضارب آرائهم في هذه المسألة. فكل يقتضي زعمهِ يزيد الوفا ويحذف الوفا من السنين كأنَّ الف سنة لديهم تقابل بعض الثواني ولذا لم يتمالك الاثري الشهير سليمان ريناخ عن القول: « لقد حاد الاستاذ دي مورتيليه عن مبادئ العلم واطلق العنان لمخيلتهِ وهواهُ حينما عيَّن ٢٢٢٠٠٠ سنة للازمنة التي كان بها الانسان يتخذ سلاحهُ من الحجر المنحوت » (١

٢ (تكوين بعض الاراضي والعصر الجليدي) ومن ادلة المغالين بقدم الانسان تلك البقاع التي تتكون عند مصب كثير من الانهار مثل النيل والمسيسيبي. فان المياه تجرّ الرمال وتقذف بالاوحال ثم تلقيها جانبًا فتمتدّ منها اراضٍ فسيحة خصبة غزيرة الغلات. فقدَّر لها اصحاب العلم السابق التاريخ على عادتهم المألوفة عددًا عديدًا من آلاف السنين وذهبوا ان الانسان معاصر لها لانهم وجدوا فيها عظامهُ وبقاياهُ. فالجواب على هذا المشكل بيّن وسهل. فمن يثبت لنا ان المياه لم تجرّ هذه الرفات من مكان الى اخر ولم تلقها مع ما القت من الاوحال؟ ثم ان الانهار الكبيرة تجرّ مدَّة سنة مقدارًا عظيمًا من التراب واصول الاشجار ويختلف جرّها من عام الى عام حسب هطل الامطار وحدوث الطوارئ واختلاف التربة حيث تمرّ المياه. وزد على ذلك ان هؤلاء العلماء لا يتفقون كلمةً ورأيًا في المدَّة اللازمة لتكوين هذه الاراضي. فان كارل فُغت (Vogt) يذهب انهُ اقتضى ١٥٨,٤٠٠ سنة لامتداد بقاع مصب نهر المسيسيبي ويزعم جون لوبوك (Lubbock) ان ثلاثة آلاف عام كافية بينما ان الجيولوجي شميت (Schmidt) يرتأي ان لا حاجة للامر ذاتهِ الّا لالف وسبعمائة سنة. فالبون عظيم بين هذه المزاعم

وقولنا هذا يزيّف البرهان الذي يحاولون اخذهُ من العصر الجليدي وزمنهِ ومدّتهِ فانهم لم يأتلفوا على ما يروون عنهُ بل انهم فتحوا بابًا رحبًا لاوهامهم في هذا السبيل (٢

٣ (جماجم ورفات عريقة بالقِدَم) لا بأس ان نجري البحث عمَّا اكتشفهُ العلماء من جماجم وعظام مختلفة فعلَّق عليها اصحاب العلم السابق التاريخ آمالًا كبيرة لتوطيد

---

١) اطلب كتاب وصف عاديات باريس (Description raisonnée du Musée de Saint-Germain-en-Laye, t I, p. 78)

٢) اطلب مجلة المراسل (Le Correspondant, 25 Novembre 1906)

رأيهم . واشهر هذه الجماجم « جمجمة كانستات » . وكانستات قرية على مقربة من مدينة ستوتغارت . قال الذاهبون الى قِدَم الانسان انها اكتُشفت سنة ١٧٠٠ بين عظام وبقايا دبّ المغاور والمتوث وغيرها من حيوانات الطور الرابع . انما بحث العلّامة اوبرماير في هذا الصدد يكفينا عن الاطالة في الكلام واليك خلاصة دروسه . وضع سليمان ريسل (S. Reissel) سنة ١٧٠٠ قائمة لكلّ ما اكتُشف في كانستات من العظام وذكر في آخرها ما هو بحرفه : « لم اجد اثرًا لعظام الانسان بين كل هذه البقايا » . وفي سنة ١٧٠١ كتب العلّامة سپليسيوس (Spleissius) مقالة في تلك العظام واتت شهادتهُ مطابقةً ومؤيدةً لشهادة ريسل . وفي مدار السنين التالية ١٧٢٣ و ١٧٣٥ و ١٧٤٩ و ١٧٥٣ زار كثير من العلماء تلك الرمم وصنّفوا فيها مقالات وكتباً ولم يذكروا ان ثمّ جمجمة آدميّة . وروى كوڤيه (Cuvier) الطائر الشهرة (١٨١٢) ان في كانستات يوجد فك انسان لا جمجمة . وانما سنة ١٨٣٥ اعني به مائة وخمس وثلاثين عاماً بعد اكتشاف الرفات المذكورة اخبر العالم ياغر (Jäger) انهُ شاهد في بعض معاهد كانستات جمجمة غريبة في هيئتها قيل لهُ انها وُجدت مع العظام التي اكتُشفت سنة ١٧٠٠ فلا عجب والحالة هذه اذا ختم العلّامة اوبرماير درسهُ بهذه الكلمات : « ما من احد يرتاب الآن بان جمجمة كانستات لم تُكتشف سنة ١٧٠٠ فلا يُعرَف من اين اتت والى اي عهد ترتقي (١) »

وفي اثناء عام ١٨٥٦ وجد عمّالٌ في جوار مدينة دوسلدورف (Dusseldorf) هيكل انسان اعتاد العلماء ان يدعوهُ بهيكل انسان نياندرتال (Neanderthal) . ومن غريب امرهِ انهُ قصير القدّ ممتدّ الجمجمة ضيّق الجبهة ناتئ الحاجبين فتباينت الآراء في قدمهِ وبالغ قوم في عراقة عهدهِ دون بيّنة الّا عجيب هيئتهِ . فانهم لم يكتشفوا معهُ بقايا حيوانات تنبئ عن الاجيال التي أودع فيها الثرى . وبما ان هذه العظام كانت ملقاة على حدة ولا دليل على وضعها هناك في ضريح ارتاب العلماء في بيان مركزها الاصلي وذهب بعضهم ان السيل جرّها الى حيث وُجدت ثم انهال عليها قليل من التراب

واما بقايا الحيوانات البائدة كالمتوث والكركند العظيم وغيرهما فاننا لا نعلم تماماً زمن انقراضها عن وجه الارض

(١) اطلب المجلة السابق ذكرها (Le Correspondant, l. c.)

ويجدر بنا اخيرًا ان ننبه القارئ الكريم اننا لا ننكر ما يقدمهُ علم الجيولوجيا من الخدمات في معرفة كنه الكرة الارضيَّة والاطلاع على اسرارها وتاريخها وزمن وجود الانسان على وجهها لكننا ننبذ فقط الغلو في بعض مسائل خطيرة والاثبات دون بيِّنة ودليل راهن. وكذا يُقال في تاريخ الامم القديمة كالبابليين والمصريين والصينيين فانَّ ما اكتُشف من آثارهم لا يقتضي عهدًا يتجاوز بضعة آلاف من السنين. ونحن الآن في موقف من ينتظر براهين اوضح واصدق من رجال خصَّهم الله بذكاء البصيرة وصائب الانتقاد وخوَّلهم العزم لبذل النفس والنفيس في جلاء الغوامض فاذا ما اتت ادلَّتهم قاطعة فاننا بطيبة خاطر نذعن لها اقرارًا بالحق. وما دامت الامور على ما هي فاننا نرتأي مع كثير من العلماء ان المدَّة بين خلق آدم والسيد المسيح لا تتجاوز سبعة او ثمانية آلاف سنة والله اعلم

حوادث السنة الغابرة

نظرة للاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

اوربة

﴿ اسبانية ﴾ في ٢٥ ك ٢ من السنة الغابرة قد خطب الملك الفونس الثالث عشر البرنس الانكليزيَّة اينا ده باتنبرغ وقد كفرت خطيبتهُ بالشيعة البروتستانية واعتنقت الدين الكاثوليكي في ٧ اذار على يد مطران نطنهام وجرت احتفالات الزيجة في ٣١ أيَّار فأُقيمت الافراح والمظاهرات الباهرة في كل ارجاء المملكة

وقد توالت الازمات الوزاريَّة وتألفت وزارات مختلفة عديدة كل ذلك بجرَّاء الاغراض الشخصية والاميال الافراديَّة التي ينقاد لعواملها زعماء الاحزاب في اسبانية. وقد حاولت وزارة المركيز دومنيكز نصَّ وتقرير قانون لفصل الكنيسة عن الدولة يضاهي القانون الذي قررتهُ فرنسة او يكاد. فحبطت مساعيها وسقطت بسبب تطرفها في هذه المسألة

﴿ المانية ﴾ في اوائل السنة الماضية احتفلت الاقطار الالمانية بالعرس الفضي

للامبراطور والامبراطورة وقد فاه الامبراطور بهذه المناسبة بخطاب يُستشفّ منهُ الشغل الشاغل الذي لا يزال عاهل المانية جاعله نصب عينيه قال :

« ان اول افكاري وآخرها هو تعزيز قوانا الحربيَّة في البرّ وعلى البحار . ابعد الله الحروب ولكن اذا احدثها احد فانا على يقين ان جيوشنا لا تظهر اقلّ بسالة مما ظهرت سنة ١٨٧٠ »

ومما ساعد ويساعد المانية على تعزيز جيشها هو حسن الحالة المالية التي سعى وراءها البرنس ده بولوف سعياً جميلاً كللهُ النجاح ومدحهُ عليه الامبراطور برسالة خطَّها بيده الملوكيـة

امَّا العلاقات مع الدول فان رجال المانية قد جدوا جدَّهم في جعلها سلميَّة وعن ذلك صرَّح المسيو تشيرسكي وزير الخارجيَّة في اواسط السنة حيث قال في الريشستاغ « ان حكومة الامبراطور تجعل اساس سياستها الخارجية المعاهدات مع دول اوربة المتوسطة والعلائق الوديَّة مع غيرها » . ومن هذا الباب ما ابدتهُ دولة المانية من مجاملة فرنسة في نقل رفات الجنود الفرنسويين الذين سقطوا في ساحة الحرب سنة ١٨٧٠ فاقامت لهم احتفالاً شائقاً شكرتها عليه حكومة فرنسة وكان من وراء ذلك بعض التقرب بين قلوب الشعبين . وقد كثرت المباحث والمناقشات هذه السنة بين رجال حكومة المانية بخصوص المستعمرات فمنهم من يريد زيادتها اهمية ومنهم من لا يرى في ذلك صواباً ولا فائدة . وقد عاكس الريشستاغ في هذا الامر رغائب الوزارة وكفَّ يدها عمَّا كانت تنويه وترغبهُ من توسيع نطاق المستعمرات . وفي اواخر السنة طلبت الوزارة من الريشستاغ المصادقة على نفقات تلزم لذلك فما رضي بها ففي الحال نُفذ في الريشستاغ المقاوم امرٌ امبراطوري يقضي بحله ونقض عقده وعن قريب تُجدَّد الانتخابات

﴿ انكلترة ﴾ حصل انقلاب هامّ في الاحزاب التي تتشاطر اعضاء مجلس العموم الذي لهُ كما لا يخفى اليد الطولى في تدريب شؤون الدولة الانكليزيَّة وتوجيه سياستها . فان الانتخابات لهذا المجلس التي تمت في اوائل السنة الغابرة قد افصحت عن اغتنام حزب الليبرال ١٨٤ كرسيًّا وعن اكثريتهم بتسعين صوتاً بالنسبة الى سائر احزاب المجلس . وهكذا قد انتقلت بنوع ما ادارة الاحكام من يد المحافظين الى يد حزب الليبرال الذي كان في ما قبل معارضاً لهم . وقد سعى هذا الحزب كما سعى الاسبق في

توطيد دعائم الوفاق الولائي الذي أُبرم مع فرنسة وكان من مفاصيل السنة الماضية حصول تقرّب بين دولة انكلترة ودولة روسية حليفة فرنسة

ومن الخطط التي اعتمدت عليها حكومة انكلترّة في التجاريّات جعل المبادلة الغير المقيدة من المبادئ المعمول بها بقدر ما تسمح الظروف والاحوال

وقد عقدت انكلترّة مع فرنسة معاهدة تختص بجزائر إبريد وتقرر ان تلك الاراضي تكون مشاعة لنفوذ واستثمار الدولتين وان رعاياهما يكونون متساوين في الحقوق الشخصيّة والتجاريّة والملكيّة ويخضع كل منهم لقوانين وطنه

ومن المباحث التي اخذت طورًا عظيمًا في مجلس العموم ومجلس النبلاء مسألة نظام التعليم الابتدائي . فان مجلس العموم بعد ان صادق على هذا النظام ارسلهُ لمجلس النبلاء كي يبدي فيه رأيهُ ويرضى به . فكان من مجلس النبلاء انهُ اعترض على النظام وتطلّب ان يعدّل ويحوّر فيه احكام شتّى ومما اشترطهُ ان لا تُعتبر مدرسة من المدارس العموميّة التي تقوم الحكومة بمصاريفها ان لم يكرّس في تلك المدرسة كلّ يوم قسمٌ من الوقت للتعليم الديني . على ان مجلس العموم لم ينقد لمطاليب النبلاء وتحزبت الوزارة لهُ وطلبت من النبلاء ان يتنازلوا عما ارتأوهُ فلم يشاؤوا واعلنوا لنهم يفضلون عدم وجود قانون في هذا الامر على قانون فيه من الخلل ما فيه . وقد خشي القوم مدّة من الزمن ان تؤول الحالة الى أزمة شديدة تفضي الى فض مجلس النبلاء وقد افادت الاخبار الاخيرة ان المجلس حاد عن رأيه ولعلّ ذلك النظام يبقى مدفونًا طيّ النسيان الى امدٍ بعيد

﴿ ايطالية ﴾ مما يجدر ذكرهُ ان رجال سياسة ايطاليا قد اعربوا في ظروف مختلفة عن عواطف اعتبارهم للحبر الروماني ورُغبتهم في التقرّب من الكرسي الرسولي وقد اعلن احد الوزراء في مجلس النوّاب ان دولة ايطالية لا ترى من الصواب مناهضة ارباب الدين ولن ترضى ان تكون هذه الخطّة خطتها . وانهُ مهما كان من مبادئ وتصرفات احدى الدول المجاورة فهي تعتدّ ان من واجباتها ترك حرّيّة الاديان للشعب

ومن اهمّ ما حدث في ايطالية السنة الماضية الانفجار المهول الذي حصل من بركان الڤيزوف فكانت الموادّ الناريّة ترتفع بشدّة غريبة من جوف الجبل ثم تسيل من كل جهة ولها منظر مرعب مهول وكانت سحب الرماد تتصاعد في طبقات الجو ثم تسقط على القرى والمدن المجاورة التي دُمّر منها كثير وهُجر منهما اكثر وقد زاد عدد

الذين التجأوا الى مدينة نابولي على متن الف مهاجر فامتدت الى هؤلاء البائسين ايدي الجود والرحمة من كل قطر وقد ارسلت اليهم فرنسة اسطولاً فكانت نحوهم من اعظم المحسنين وحضر ملك وملكة ايطالية الى محل هذه المشاهد المؤثرة المحزنة لتسلية المنكوبين وتخفيف وطأة الويل عنهم

﴿ بلجيكة ﴾ لم يزل الكاثوليك حاصلين على الاكثرية في مجلس النواب وقد فازوا في الانتخابات الاخيرة باكثرية ١٢ كرسياً على اخصامهم . ومما يزيد قوتهم هو اتحادهم التامّ في وقت ان مناصبيهم تختلف اهواؤهم ورغائبهم وخططهم . زد على ذلك ان الكاثوليك هم اصحاب الفوز من سنة ١٨٨٤ ولذلك قد اصبحت مراكزهم وطيدة الدعائم تقوى على هجمات المناضلين وعليه فالآمال معقودة على انهم يداومون على خدمة وطنهم خدمة صادقة عادت وتعود عليه بالمنافع والنجاح

ومما يهمّ ذكرهُ تبليغٌ من الملك اثبت فيه حقوق دولته على الكونغو وقصدهُ ان يضمّ قريباً تلك البلاد الى بلجيكة

هذا وقد أُبرمت بين الكرسي الرسولي وحكومة الكونغو البلجكي معاهدة تخول المؤسسات الكاثوليكيَّة منافع جمة وامتيازات عديدة . وقد أُقيم في بلجيكة في اواسط شهر آب مؤتمر افخارستي ترأسهُ نيافة الكردينال ڤانوتلي النائب الرسولي فكان ذلك المؤتمر مظهراً لعواطف الايمان الحارَّة في تلك البلاد

﴿ الدانمرك ﴾ ان ملكها كريستيان التاسع قد مات فجأة في ٢٩ ك ٢ وكان اقدم ملوك اوربَّة في العمر . وُلد سنة ١٨١٨ . وقد أُقيمت حفلات جنازه في ١٧ شباط حضرها امبراطور المانية وملك نروج وغيرهما من عظماء رجال اوربة كثيرون . وقد خلفهُ على عرش الملك وليّ عهده كريستيان فريدريك الثامن . ولد سنة ١٨٤٣

﴿ روسية ﴾ صرفت روسيَّة معظم قواها لتحسين احوالها الداخليَّة التي ساءت نوعاً بسبب حربها مع اليابان فلم تحصل على كبير نتيجة من جهة تنظيم الامور على ان ماليتها قد تحسنت بعض التحسن وعادت اليها ثقة المتمولين اكثر مما قبل

﴿ فرنسة ﴾ في ١٧ ك ٢ تم انتخاب المسيو فاليار رئيساً للحكومة الافرنسيَّة فحاز ٤٣٩ صوتاً ضد ٣٧١ احرزها المسيو دوسر وفي ١٨ شباط احتفل بتسليم مقاليد السلطة وفي ١٢ اذار تألفت وزارة جديدة برئاسة المسيو ساريان ودامت الى ١٩ ت ١

حيث استعفى المسيو ساريان مدعياً انحراف صحته فاستقالت وزارتهُ معهُ وعُهد الى المسيو كاميانو ان يشكل وزارة جديدة ففعل

وقد تجدد في شهر ايار مجلس النواب فكان ان مناصري الحكومة اكتسبوا ٥٠ كرسياً وان حزب المقالين تقوّى. وقد تمهّدت بعض العقبات بين حكومتي فرنسة والمانية بعد تقرير مسألة مراكش ولا عاد يخشى في الوقت الحاضر تعكُّر صفاء جوّ السياسة بين الأمتين. وان الوزارات التي تعاقبت قد جرت على خطة واحدة في تعزيز الاتفاق الودادي مع دولة انكلترة فحصل عن ذلك في هذه السنة زيادة التبادل في التجاريّات والصناعيّات واصبحت الامال وطيدة في ان يد العمل تمتدُّ عن قريب لتنفيذ مشروع نفق المانش فيصبح رابطاً جديداً بين فرنسة وانكلترة يقرّب بينهما المسافات ويسهل المعاملات وستاريح فوائد هذا الاتفاق بنوع اجلى في المعرض التجاري الذي ستقيمهُ الامتان في انكلترة بعد مدة من الزمن

ولا تزال علاقات فرنسة السياسية مع سائر الدول حسنة ومعاملاتها الخارجيّة امنية سلمية. فيا حبذا لو كانت احوالها الداخليّة سلميّة ايضاً

لكن الامر الواقع الذي يحزن قلوبنا ويحزن كل محب للأمّة الافرنسيّة الكريمة هو ان رجال دولتها الحالية قد اعتمدوا على خطة مناهضة الدين ومقاومة الكنيسة والاعتداء على حقوق الكرسي الرسولي وفي ذلك علاوة على الاجحاف بالحقوق الراهنة خطأ سياسي جسيم وضرر عظيم في راحة الوطنيين وقد اتت حوادث هذه السنة دليلاً جليّاً على ما نقول. فان ما حصل من الشغب والاضطراب وتعطيل الاشغال بسبب جرد اموال الكنائس من ابتداء السنة المنصرمة وما حصل في اواخر السنة ذاتها من نزع الصلبان من المحاكم وقفل معاهد العلوم الكهنوتية وطرد الاساقفة من دورهم واعمال الضغط مع الكاثوليك ومعاكسة ما تقتضيه راحة الضمائر وحقوق الله والدين كل هذه الاضرار هي مما كان لفرنسة عنهُ غنى ومما لا يرضى به من اراد خيرها واعتلاء منارها

ومما كدّر القلوب ايضاً وخدش الآذان وجرح العواطف خطاب القاهُ المسيو ڤيڤياني في مجلس النواب تحامل فيه على كل دين تحاملاً لم يُسبق اليه فاشأز من لهجته الملحدون انفسهم

اما كاثوليك فرنسة فانهم في وسط هذه الاضطهادات وهذه الظروف المزلة لم

تزل الحاظهم متجهة نحو الكرسي الرسولي وخلف المسيح ليستنيروا بنصائحه ويستمدوا اوامره ويتلقوا منهُ التعزية في احزانهم . ولقد دُوِّن لهم على صفحات تاريخ الكنيسة ما لا تمحوهُ الدهور من الاتحاد التام باساقفتهم واتحاد اساقفتهم بالحبر الاعظم مظهرين في كل الاحوال ورغماً عن كل المصاعب والمخاطر خضوعاً لا استثناء فيهِ لما يبديهِ حبر الاحبار من الاوامر والنصائح لخير شعب المسيح وشرف الكنيسة المقدسة والمحافظة على حقوقها الالهية . وقد اعطوا للعالم كلهِ مثالاً بارعاً في حب الدين والتفاني على نصرتهِ وبذلوا الاموال الطائلة للتعويض بقدر ما يستطيعون عما اختلستهُ رجال الحكومة من الكنيسة امهم ولذلك ألفوا الجمعيات الخيرية وقد امتاز فيها جمعية السيدات الكاثوليكيات بالغيرة وسخاء اليد . وهذه البسالة في الدفاع عن الدين وهو اعز ما يدافع الانسان عنهُ قد أثَّر في عقول من يعتارن في سائر الاقطار وعلى ذلك قد برهنت الرسالات العديدة التي تواردت على اساقفة فرنسة من كل ارجاء المعمورة تستصوب خطتهم وتهنئهم

اما الحالة المالية في فرنسة فان المسيو پوانكاره قد اعلن انها تشتكي عجزاً قدرهُ ٢٥٠ مليوناً على التقريب

فمن رب المراحم نطلب ونرجو ان يبعد عن فرنسة هذه الاحن ويعيد اليها كل راحة وخير

﴿ النسة والجر ﴾ من اهم حوادثها الداخلية حلّ البرلمان المجري الذي امر بهِ الامبراطور فرنسوا جوزف اثر مظاهرات يطول ذكرها . وقد زالت الازمة الناتجة عن مقاومة الاحزاب وآلت الاحوال الى انتصار الحكومة انتصاراً باهراً على مناهضيها . اما بالنظر الى الخارج فان همّ وزارة المسيو غولوكسكي قد كان متجهاً الى توطيد اركان الحالفة الثلاثية مع ايطالية والمانية وقد قال عن هذه الحالفة انها محور سياسة مصيبة قد اظهرت السنون منافعها وانها تضمن السلم لاوربة كلها . على انهُ قد حصل بعض مظاهرات ضد ايطالية بالنمسا الجراند في اهميتها وحملت القوم على خوف انقطاع العلائق بين الدولتين . لكن صوالح الامتين قد اعادت عاجلاً مياه المسالمة والمصادقة الى مجاريها

﴿ اليونان ﴾ في اواسط شهر حزيران قطعت العلائق السياسيّة بين اليونان ورومانيـــة

وقد زار ملك اليونان رومية واستقبلهُ الحبر الاعظم في الڤاتيكان استقبالاً رسميًا. وقد تبودلت بينهُ وملك ايطالية نخب الوداد والصفاء. (ستأتي البقيّة)

قبل الولادة وبعد الموت

ردٌّ ثالث على المقتطف

للاب اطون صالحاني اليسوعي

يظهر ان مسألة النفس تهمّ المقتطف كما تهمّنا وتهمّ كل انسان. وهذا حقّ. فهي مسألة المسائل. لانهُ «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسهُ. أم ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسهِ» (متى ١٦: ٢٦). واذا نفينا وجود النفس فما معنى وما منفعة هذه الحياة الدنيا القصيرة المفعمة اتعاباً واحزاناً وامراضاً ومصائب وشقاء. ولهذا عاد المقتطف مرّة ثالثة الى الخوض في هذه المسألة الخطيرة. فنعود اليها نحن ايضاً لنتعقّب خطواته وننقد مزاعمه

انّ المقتطف مع تظاهره بان مسألة النفس تهمّه لا يبحث عنها ولا يطلبها في مظانّها بل من حيث لا يمكنه ان يعثر على جوهرها ولا ان يعرف حقيقتها. فهو الى نفي النفس الروحيّة اقرب منهُ الى اثباتها. وما غايتهُ الّا انكارها في بحثهِ عنها بالعلوم الطبيعيّة فقط التي لا تستطيع ان تبحث الّا عمّا يقع تحت الحواس. والّا فلماذا لم يصرّح ولا مرّةً واحدة في مقالاتهِ الثلاث بالقول ان النفس وان ثبت وجودها بالبراهين العقليّة لم تتصل الى معرفتها بالعلوم الطبيعيّة. فهذا الكلام الواضح الذي يزيل كل ابهام وكل سوء فهم لم يخطُّهُ قلم المقتطف ولن يخطّهُ لانهُ بالحقيقة لا يسلّم بوجود نفس روحيّة. فيكتفي بتكرار بعض عبارات مبهمة ليموّه على عقول السذّج. وهذا هو اثم علماء عصرنا الماديين فانهم يشتغلون بالعلوم الطبيعيّة نابذين الفلسفة العقليّة فيغرقون في المادة ويختنقون. ولو كان صرّح المقتطف بوجود نفس روحيّة وبثبوت هذه الحقيقة من البراهين

المنطقيّة والفلسفة الحقَّـة ثم اخذ يبحث عنها بالعلوم الطبيعيَّة لما كنَّا آخذناهُ ولما كنَّا تعرَّضنا لهُ لننتصر للحقيقة

ادرج المقتطف في عدده الاخير الصادر في كانون الاول رسالة لاحد المشتركين لم يسمِّهِ هي على جانب عظيم من التمويه حاول فيهـا المراسل ان يبرِّر المقتطف وننسب الينا « سخافة العقـل او التسرّع والمحاولة والمكابرة » (كذا) . افيصدق المراسل اذ يخاطب اصحاب المقتطف قائلًا : « لم تنكروا ما تقولهُ الاديان ولا ما يقولهُ الفلاسفة ولم تتعرَّضوا لذلك لا بنفي ولا باثبات . ولم تشيروا الى ما يقولـهُ الفلاسفة واصحاب الاديان الَّا للفرق بينهُ وبين البحث الطبيعي الذي اشرتم اليـهِ » فاين هذا القول من قول المقتطف « ان الاديان المختلفة تحلّ هذا السؤال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدساً وتخميناً او علماً عالياً غير مبنيّ على الحسّ والمشاهدة بل على الالهـام الالهي » . فقولهُ « حدس وتخمين » هو نفي لحقيقةٍ ثابتة مقرَّرة . وقولهُ « علم عالٍ غير مبني على الحسّ والمشاهدة » هو نفي ايضاً للبراهين الفلسفية التي تؤيد وجود النفس ومن ثم هو نفيٌ ايضاً لحقيقـة وجودها . لكونهِ لا يقبل الَّا بما يقرّرهُ العلم المبني على الحسّ والمشاهدة . ومعلوم ان النفس الروحيَّة لا تُعرف بالحسّ . وقولهُ « علم عالٍ مبني على الالهام الالهي » يدل على ان المقتطف لا يعلم ما هو العلم العالي اذ لا يميّزهُ عن الالهام الالهي بل يخلطهُ مع الوحي . وهذا غريب من اصحاب المقتطف . لانهُ لا احد يجهل ان الفلسفة العقليَّة تبحث عن النفس بقطع النظر عن الالهام الالهي او الوحي . وعليهِ فالمقتطف في ما قالهُ لم يتعرض لاثبات الحقيقة لكنَّهُ تعرَّض لنفيها . ومن ثم لم يصدق مراسلهُ لما حاول ان يبرِّر اصحابهُ

ولتوضيحِ ذلك بالمثل الذي اوردهُ مراسل المقتطف اي مثل السارق وهو :

« لنفرض ان زيداً سُرق بيتهُ فاتهم خالداً بسرقتهِ وشكاهُ الى المحكمة وادَّعى انـهُ عرف بالهام الهي ان خالداً هو السارق واقام ادلة كثيرة على ان الله يوحي اليـهِ احياناً . فان المقوَّض بالحكم لا يقبل دعواهُ ولا يحكم على خالد بالسرقة . وكذلك اذا قال زيد انهُ عرف بشعور داخلي في نفسهِ ان خالداً هو السارق وان هذا الشعور الداخلي صحيح وطالما كشف لـهُ الغوامض . فان المقوَّض بالحكم لا يقبـل دعواهُ ولا يحكم بموجبها . ولكن اذا اقام زيد ادلة طبيعيَّة محسوسة على ان خالداً هو السارق وذلك بانـهُ اثبت وجود الامتعة المسروقة في بيت خالد واستشهد اثنين من

الشهود العدول . . . فان المفوّض بالحكم يأخذ بهذه الادلة المحسوسة ويحكم على خالد بالسرقة مع انهُ لم يأخذ بادلة الوحي ولا بادلة الشعور الوجداني لا لان ادلة الوحي غير صحيحة ولا لان ادلة الشعور الوجداني غير صحيحة بل لان القانون يضطرهُ ان يبني حكمهُ على الادلة المحسوسة او المستنتجة من امور محسوسة »

فنجيبهُ لو أنكر المراسل على المفوّض بالحكم ليس فقط الاستناد الى ادلّة الوحي والى أدلّة الشعور الداخلي بل انكر عليهِ ايضاً الاستناد الى الادلة الطبيعيّة المحسوسة التي توصلهُ الى معرفة من هو السارق أفلا يكون منع الوقوف على الحقيقة . فهذا هو عمل المقتطف . فانهُ من جهة لا يقبل بالوحي في البحث عن النفس . (ونحن لم نبحث عنها بالالهام الالهي) . ولا يقبل بالعلم العالي لانهُ لا يقبل بعلم عالٍ غير مبني على الحس والمشاهدة فضلاً عن انهُ يخلطهُ مع الالهام الالهي . ومن جهة اخرى يصرّح بان العلوم الطبيعية لم تتصل الى الآن الى معرفة وجود النفس وماهيتها ومصدرها ومآلها . فماذا أبقى لنا رعاهُ الله سوى نفي وجود النفس بما انهُ لا براهين لديهِ لمعرفتها وينكر علينا البراهين العقليّة التي من شأنها ان توصلنا الى معرفة الحقيقة

فلو انكرنا على المقتطف البحث عن النور بحاسّة البصر واردنا حملهُ على هذا البحث بحاسّة السمع وصرّحنا ان حاسة السمع لم تتصل الى الآن الى معرفة ما هو النور وكيفيّة سيرهِ الخ . أقليس انهُ ينسب الينا الخطأ الفاحش . كذلك نخطئهُ نحن وبكل صواب اذ نراه يحظر البحث عن ماهيّة النفس بعلم ما وراء الطبيعة المميز عن الالهام الالهي والغير المبني على الحسّ والمشاهدة . ويحصر هذا البحث في العلوم الطبيعيّة التي لم تتصل ولن تتصل ابدًا الى معرفة حقيقة النفس . لان العلوم الطبيعيّة لا تتناول الّا ما يُدرَك بالحواس ويستحيل ان تُدرَك النفس بالحواس . فيلقي قرّاءهُ في الشك ويضلّهم

هذا هو خطأ المقتطف اذ يكرّر القول بان تعليم الاديان بخصوص النفس « حدس وتخمين » اي امر غير ثابت ولا مقرّر . وان تعليم الفلسفة الحقيقيّة « غير مبني على الحسّ والمشاهدة » ومن ثم مردود ومرفوض عنده . وان العلوم الطبيعيّة قصّرت الى الآن عن الوصول الى معرفة النفس كما يقرّ هو وكما بيّنّا لهُ في مقالتينا السابقتين . فبقي لقرّائه اذا كانوا من السذّج الغفل أن يستنتجوا عدم وجود النفس الروحيّة . وهذا

هو مراد المقتطف. شأن من يقصد التضليل دون التصريح والمجاهرة . لأن الذي لا يسأم بحقيقة ثابتة ويرفض بدون حق البراهين التي وحدها تمكن من اثباتها فهذا لعمري يتعرّض لنفي الحقيقة. ومن ثم فقد اخطأ عمداً مراسل المقتطف بقوله لاصحابه « لم تنكروا ما يقوله الاديان ولا ما يقوله الفلاسفة ولم تتعرضوا لذلك لا بنفي ولا باثبات » . وقد خطأهم من حيث قصد المدافعة عنهم

وعليه فجوابنا لم يكن من « سخافة العقل » بشيء كما زعم . ولا جواب « متمحل محاول مكابر » بل جواب الحق والحق يقوى ولا يُقوى عليه

هذا واننا بكل طيبة خاطر نلبّي طلب المقتطف في الجواب على بعض مسائل عرضها علينا

اولها : « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوّن في بطن امه » . فالجواب هو ان النفس قبل تكوّن الجنين في بطن امه لا وجود لها البتة بل هي عدم . انما يخلقها الله رأساً حال تكوّن الجنين . نبيّن ذلك بتشبيه قريب لا يمكن للمقتطف ان ينكره . هذه المادة التي تكوّن منها العالم الارض والقمر والشمس والنجوم نسأل المقتطف أهي مخلوقة ام غير مخلوقة . فاذا قال انها مخلوقة فنسأله اين كانت قبل ان يخلقها الله . وان قال انها غير مخلوقة فيكون قد سلّم بقول الدهريين والطبيعيين والماديين وهو قول الكفر لانه يجعل المادة ازلية اي يجعلها الله وينفي الاله الحقيقي . والعجب كل العجب ان الماديين يسأمون بمادة ازلية تكوّن منها العالم ولا يسلّمون بعقل ازلي كلّي الكمال هو الله . ومن ثمّ فلا بدّ للمقتطف من الجواب بان الله خلق المادة من العدم اي انه لم يكن لها وجود قبل ان تُخلق ولم تكن في محلّ بل كانت عدماً . وهكذا نقول عن النفس . فانها قبل ان يتكوّن الجنين في بطن امه كانت عدماً اي غير موجودة فلم تكن في محلّ وانما اوجدها الله اي خلقها لتتحد بالجنين حال ابتداء تكوّنه . وعليه فسؤال المقتطف « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوّن في بطن امه » هو باطل لا معنى له ولا فائدة إن علم الحقيقة

والبرهان على ان الله يخلق رأساً النفس حال ابتداء تكوّن الجنين هو : لان النفس بما انها بسيطة لا اجزاء لها فلا يمكن ان توجد بان تتشقّ من نفس الام . وبما انها روحيّة

وعقليَّة فلا يمكن ان توجد بان تُستخرج من المادة . فلم يبقَ الَّا ان يخلقها الله رأساً كما خلق المادة

السؤال الثاني : « في اي وقت تدخل (النفس) جسم الجنين » . قبل ان نجيب على هذا السؤال نقول ان الكلمة « دخل » التي استعملها المقتطف ليست مناسبة ولا صوابية لان النفس لا تدخل في الجسم كانها ضمنهُ ويحتوي عليها . فليست في الجسد كالماء في الاناء او كالحنطة في الكيس . بل هي متحدة بالجسم اتحاداً جوهرياً فيتكوَّن من النفس والجسم شخص واحد هو شخص الانسان

فبعد ان قدَّمنا هذه الملاحظة نجيب اوَّلاً : على افتراض انهُ لا يمكننا ان نعيّن ونحدّد الوقت الذي فيهِ تتحد النفس بالجسم فهذا لا ينفي وجودها واتحادها بهِ . كما انهُ لا يسوغ للعالم في العلوم الطبيعيَّة ان ينفي وجود المادة إن لم يمكنهُ ان يعيّن الوقت الذي فيهِ خُلقت . وكما لا يجوز لهُ ان ينفي الشمس إن لم يمكنهُ ان يعيّن ويحدّد الوقت الذي فيهِ كُوِّنت . وكما لا ينفي احد الحريق المشتعل في غابة او في بناية وإن لم يتمكَّن من تعيين الساعة التي فيها ابتدأ

نجيب ثانياً : ان النفس يخلقها الله رأساً حالما يصير الحبل اي حالما يتمّ تلقيح البويضة . هذا هو اشهر تعليم العلماء سواء كانوا لاهوتيين او فلاسفة او اطبَّاء . ومن ثم تُميَّز النفس جسم الجنين في كونهِ جنين انسان عاقل لا جنين حيوان غير عاقل

السؤال الثالث : « هل تكون (النفس) حينئذٍ كاملة في كل مداركها »

الجواب : ان مدارك النفس تستلزم بعض النموّ في الجسم وكمال الجهاز الحسي والدماغ . لان النفس في حال اتحادها بالجسم لا تُدرك الَّا بالحواس او بعد ان تكون الحواس تمت وظائفها اي شعورها . فالنفس تدرك الماديات . ويشترك الحسّ بهذا الادراك . وتدرك غير الماديات اي تعلمها بشرط ان يرافق معرفتها شعور حسي او تخيُّل حسي فانها تجرّد من الشعور الحسي موضوع ادراكها العقلي اي المعاني . وعليهِ فطالما لم تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال لا يمكن لقوى النفس ان تخرج الى حيّز العمل . فتكون كالنار الكامنة تحت الرماد التي تضطرم وتلتهب حين يكشف عنها الرماد ويُلقى عليها الوقود . ويحسن ان نوضح ذلك بتشابيه اخرى : ان شجرة النخلة مثلاً لمَّا تكون نبتة صغيرة تكون كاملة في جنسها . ومع ذلك طالما لم

تبلغ النموّ اللازم لا تزهر ولا تثمر . وهـذا النمو اللازم يختلف في النبات والاشجار لمختلفة . والولد هو كامل في جنسهِ الانساني لا يقوى على التناسل طالما لم يبلغ . مع ن فيهِ مبادئ قوة التناسل . ومبادئ النطق كامنة في الرضيع ولا تظهر بالفعل الّا بعد مدّة . فهذه التشابيه تقرّب لنا فهم ما يخصّ قوى النفس ومداركها . فانها موجودة فيها كامنة فتنبه شيئاً فشيئاً مع نمو الجسم وتهيؤ الحواس والدماغ لمساعدة النفس في ادراكها . وهذا لا يتمّ الّا بعد زمن من الولادة . فتدرك بالحواس وتدرك بالعقل بأن تجرّد من الشعور الحسي موضوعها العقلي اي المعاني . ومن هنا المعرفة الحسيَّة التي نشترك فيها مع الحيوانات . والمعرفة العقليَّة المختصة بالانسان

السؤال الرابع : « الى اين تذهب (النفس) بعد الموت »

الجواب : انها تمثل حالًا امام الله الديان الموجود في كل مكان لتؤدي الحساب عمّا عملت في حال اتحادها مع الجسد . وتكون في سلطتهِ تعالى . لا كما يقول بعض العلماء الذين تشقون بهم واوردتم زعمهم « ان نفوس الموتى تبقى حول الاحياء تؤثر فيهم على طرق مختلفة » . فان هذا متعلّق بمشيئة الله وسلطة القدير العادل . فيضع النفس امّا في السماء محل السعادة الابدية اذا كانت خالية من كل خطيئة او معصية . امّا في جهنم محلّ العذاب الابدي اذا مات الانسان وهو اثيم بخطيَّة مميتة او معصية باهظة لشريعة الله ولم ينل المغفرة عنها قبل موتهِ بالتوبة الصادقة . واما في المطهر الى زمن محدود يعرفهُ الله وحدهُ اذا مات الانسان وعليهِ بعض زلّات او مخالفات عرضيَّة لوصايا الله ولم يفِ عنها قبل الموت . لانهُ « لا يدخلها (السماء) شيء نجس » (رؤيا ٢١ : ٢٧) . وهذا التعليم يبرهنهُ العقل فضلًا عن الايمان . لانهُ ليس من العدل الالهي ان الرجل الملطَّخ باشنع الخطايا المرتكب لكثير من الآثام وقد يكون معزّزًا مكرّمًا متلذذًا غنيًا في دنياه يرحل من هذه الحياة دون ان يلقى بعد الموت جزاء ما جنت يداهُ من الشرّ . كما انهُ ليس من العدل الالهي انَّ البار الطاهر العادل المحب لقريبهِ الحافظ لشريعة الله ولحقوق الناس وكثيرًا ما يكون مجهولًا مظلومًا مبتلًى بمصائب متنوعة يرحل دون ان يجازى بعد الموت على ما تثمهُ من الخير والبرّ في ايام حياتهِ

ولا يتخيلنَّ المقتطف ان النفس توضع في المكان كالجسم . لان الروح البسيطة لا اجزاء لها ولا طول ولا عرض ولا يمين ولا شمال . فلا تشغل المكان كما تشغلهُ المادة .

فنفسك يا هذا هي كلها في جسمك وكلها في كل جزء من جسمك . فلا تُقطع ولا تنقص اذا قطعت يدك او رجلك طالما جسمك هو في الاستعداد اللازم لحفظ اتحاد النفس به . لكن متى فُقدت الشروط لحفظ هذا الاتحاد فتنفصل النفس . وبما ان النفس هي غير مادية فلا تتلاشى بالانحلال كالاجسام لان لا اجزاء فيها قابلة الانحلال . ولا تعود الى العدم لان الله الذي خلقها ويقدر ان يعدمها الوجود يريد حفظها ليجازيها على اعمالها ان صالحة بالخير اي بالسعادة وان طالحة بالشر اي بالعذاب

وهذه السؤالات التي عُرضت علينا كل من له بعض الالمام بالفلسفة العقلية وهي العلم الحقيقي العالي يمكنهُ ان يجيب عليها . فلا حاجة حسب وعد المقتطف الى تعيين « جائزة عشرين جنيهاً لمن يكتب مقالة في هذا الموضوع تملأ عشر صفحات من المقتطف على الاكثر وتقرّ لجنة من كبار علماء القاهرة على انها وفت بالمطلوب وتستحق الجائزة » . فان اعضاء هذه اللجنة اذا كانوا من الماديين وتشرّبوا مشرب المقتطف لا يحكمون الّا بحكمه . وان كانوا يعلمون معنا تعليم الحق يردّ المقتطف حكمهم كما يردّ حكمنا . فليسأل الله لجنة كبار العلماء والفلاسفة في العالم اجمع يجدهم يحكمون على المقتطف كما حكمنا ويقولون بوجود نفس الانسان وبروحانيتها وبخلقها رأساً من الله وباتحادها مع الجسم الخ . وقد ذكرنا لهُ منهم في مقالتنا الاولى عدداً وافراً يربي على الخمسين . فلماذا لم يذعن لحكم هذه اللجنة وهي اعظم اهمية من كبار علماء القاهرة

وفي ما قلناهُ كفاية لذوي العقل السليم المتجردين عن الاهواء والغايات الراغبين في معرفة الحقيقة . ويشقُّ علينا وايمُ الحق ان نرى المقتطف يكتب حيناً بعد حين مقالات او فقرات في مسائل خطيرة يتحرّى فيها تأييد آراء الطبيعيين والماديين والدهريين . لان العالم اذا ضلّ يُضلّ معهُ كثيرين وسيؤدي حساباً مدققاً صارماً لله تعالى في يوم الدين عن كل ما كتب في المسائل التي لها علاقة شديدة مع الديانة

ومن ثم نطلب الى مراحمهِ تعالى ان يهدي اصحاب المقتطف لانهُ يمكنهم ان ينفعوا ويمكنهم ان يضروا كثيراً . ونرغب ان ينفعوا في مجلتهم ولا يضرّوا

عيد الدَّنح

نظر حضرة القس بطرس نصري الكلداني (تتمَّة)

٢

قلنا ان عيد الدنح يشير ايضاً الى ظهور المسيح العلنيّ للعالم بواسطة عماده. وذلك ان السيد المسيح لدى بلوغهِ سنة الثلثين من عمرهِ اتى الى الجليل الى يوحنّا ليعتمد منهُ في الاردن (متى٣). وقد تعمَّد لاسبابٍ منها لكي ينقّي ويطهّر المياه بجسدهِ فتحصل بهذه التنقية على قوَّةٍ وفاعليَّةٍ لتطهير المعتمدين بها. ثم لانهُ ولئن كان هو الطهارة والنقاوة بالذات ولم يعرف الخطيَّة قد اخذ طبيعةً شبيهةً بجسد الخطيَّة. فاراد بعمادهِ الذي لم يكن محتاجاً اليهِ لان يغطّس طبيعة الجنس البشري كلها المحتاجة الى تطهير الماء. واخيرًا لكي يعمل هو ما أمر الجميع ان يعملوهُ. لذلك قال (متى٣: ١٥): «هكذا يجب ان نكمّل كلّ البرّ»

ولا يخفى انهُ انما عمل هو ما أمر الجميع ان يعملوه لا لكي نعتمد نحن الآن بعماد يوحنا كما كان شعب اليهود يعتمد بهِ (لوقا ٣). لان هذا عماد يوحنا كان يجب التعاوُدُ اذ لم يكن لهُ قوَّة تحويل النعمة. بل لكي نعتمد بالعماد الذي رسمهُ المسيح لمغفرة الخطايا. لان كل تعاليم واعمال يوحنا المعمدان كانت استعداداً وتأهباً لرسوم المسيح. اما النعمة فكان يجب تحويلها للناس بالمسيح الذي وجب بهِ النعمة والحق (يو ١: ١٤). والفرق بين عماد يوحنا وعماد المسيح هو ان عماد يوحنا ولو كان قد رُسم من الله (لو ٢٠: ٤). الّا ان مفعولهُ كان من يوحنا ولذلك سُمّيَ بهِ اذ لم يكن يفعل اكثر مما كان يفعلهُ يوحنا وهو غسل الجسد الذي كان رمزًا عن غسل النفس من الخطيَّة وخاصَّةً الاصلية بقوَّة النعمة التي يحوّلها فقط العماد الذي رسمهُ المسيح. وعليهِ فكان عماد يوحنا ليمدّ الناس فقط الى النعمة: اوّلاً بتعليم يوحنا الذي كان يقتادهم الى الايمان بالمسيح. ثانياً بتعويدهم على طقس عماد المسيح. واخيرًا بالتوبة مُعدًّا اياهم لاقتبال مفعول عماد المسيح. ولذلك قال (متى ٣: ١١): «انا اعمدكم بالماء للتوبة وهو يعمدكم بالروح القدس»

ومن ثم ينتج ان الذين عُمّدوا بعماد يوحنا كرُسل المسيح كان يجب ان يُعمّدوا بعماد المسيح الذي هو وحده مخوّل النعمة ويطبع فيهم سمةً لا تُمحى تميّزهم عن غيرهم كما قيل (يو ٣ : ٥) : « من لم يُولد من الماء والروح لن يقدر ان يدخل ملكوت السماء » . اما المسيح فلم يُعمّد بالعماد الذي رسمهُ بل بعماد يوحنا الذي كان بالماء لا بروح القدس . لان المسيح لم يكن محتاجاً الى العماد الروحي لمغفرة الخطايا . لانهُ كان ممتلئاً من نعمة الروح القدس منذ الحبل به . ولذلك قد أخّر عمادهُ الى السنة الثلثين من عمرهِ ليس فقط ليبيّن انهُ لم يكن محتاجاً الى العماد بل لانهُ اراد ان يبتدئ حالاً بعد عمادهِ ان يعلّم ويكرز الامر الذي كان يقتضي عمراً كاملاً

اما كون المسيح قد اختار العماد في نهر الاردن (مرقس ١) فليس ذلك دون سرّ . لان نهر الاردن دخل بهِ بنو اسرائيل الى ارض الميعاد . ومن شأن العماد الذي رسمهُ المسيح وخاصّتهِ ان يدخلنا الى مملكة الله والكنيسة المشار اليها بارض الميعاد . ولذلك قيل (يو ٣ : ٥) : « من لم يولد من الماء والروح لن يدخل ملكوت السموات » . ثم ان ايليا قسم مياه الاردن حينما اختُطف الى السماء بركة ناريّة (٤ ملوك ٢ : ١١) . وبذلك اشارة الى ان الداخلين بماء المعموديّة يتهيّأ لهم الطريق الى السماء بنار الروح القدس

هلمّ الآن نبحث عن معنى افتتاح السماوات في اثناء عماد المسيح وكيف نزل الروح القدس عليهِ بصورة حمامة والى ماذا يشير صوت الآب القائل : « هذا هو ابني الحبيب » . فنقول :

ان المسيح اراد ان يُعمّد لكي يقدّس بمعموديهِ العماد الذي نتعمّد بهِ نحن . ولذلك يجب ان يبيّن عماد المسيح الاوصاف المختصّة بفاعليّة عمادنا . فالوصف الاوّل هو قوّة الفاعل الاول السماويّة . ولذلك انفتحت السماوات للمسيح بمعموديهِ . الثاني ايمان الكنيسة والمتعمّدين الذين يعترفون بالايمان . ولذلك سُمّي العماد سرّ الايمان . فانفتحت السماوات لاننا نرى بالايمان السماويّات التي تفوق الحس والعقل البشري . الثالث كون العماد هو الطريق الى السماء لان بهِ يتهيّأ لنا الدخول الى مملكة السماء . فانفتحت السماوات بعماد المسيح

ولا يخفى ان افتتاح السماوات لم يتمّ بفصل او شقّ العناصر . لان الاجسام السماويّة غير قابلة التأثير والكسر ولكن بنظر الاعين الروحيّة كما ان حزقيال النبي ذكر في

بداية كتابه ان السماوات قد انفتحت. لانهُ نوشقّت او كُسرت الاجسام السماوية بانفتاح السماوات لرآها الجميع مفتوحةً. والحال انهُ يُقال (متى ٣ : ١٦) : « انفتحت السماوات لهُ » اي المسيح. وكذلك نقرأ (مر ١ : ١٠) : « انهُ حالما صعد من الماء رأى (هو لا غيره) السماوات مفتوحةً » . وهذا الانفتاح يمكن فهمهُ عن رؤية حسّيّة وعقليّة معاً اعني ان المسيح ولو كان يعرف قبلاً وينظر كلّ شيء. الّا انهُ بعد تقديس العماد قد رأى السماء فعلياً مفتوحاً للناس . لانهُ ولو كان يجب ان يفتح لنا السماوات بآلامهِ كما بعلّة عموميّة . الّا انهُ يقتضي للدخول الى السماء تطبيق هذه العلّة العموميّة او آلام المسيح على كلّ واحدٍ من البشر لكي تفتح لنا السماوات. وهذا يتمّ بالعماد ولذلك يقال (رومية ٦ : ١٤) : « نحن الذين اصطبغنا بيسوع المسيح قد اصطبغنا في موتهِ »

ثم كون الروح القدس قد نزل على المسيح في اثناء عمادهِ فهذا امر يختصّ بسرّ كل المؤمنين الذين يقتبلون العماد . لان المعمّدين ان لم يُقدموا اليهِ بالحيلة والخداع يقتبلون هم ايضاً الروح القدس . كما قال يوحنا عن المسيح (متى ٣ : ١١) : « يعمّدكم بالروح القدس » . ولا يخفى ان نزول الروح القدس بصورةٍ منظورة على المسيح في اثناء عمادهِ هو مثال ونموذج لما يتمّ في عمادنا ولو ان الروح لا يزال منظوراً في عمادنا الّا انهُ يحلّ علينا بسوع غير منظور لان الظهورات الحسيّة كانت في بادئ الامور الروحيّة ضروريّة لخير الذين لا يقدرون ان يفهموا كنه الطبيعة الغير الجسديّة لكي يقبلوا الايمان ما بعدُ بنزول الروح القدس على عمادهم نزولاً غير منظور كما تمّ يوماً بنوعٍ منظور

ولا يخفى ان لنزول الروح القدس على المسيح بصورة حمامةٍ ولا بصورةٍ أُخرى اسباباً مهمّة منطبقة وموافقة لهذا السر اولاً نظراً للاستعداد الذي يُطلب من المعمّدين الى ان يتقدّموا ببساطة قلب دون غشّ وخداع كما هو شأن طبع الحمامة وبسمتها . ثانياً للاشارة الى سبع مواهب الروح القدس اعني الحكمة والمشورة والفهم والقوّة والعلم والتقوى وخوف الله التي تنطبق انطباقاً كاملاً على خواص الحمامة وصفاتها . ثالثاً نظراً للمفعول الخصوص بالعماد وهو غفران الخطايا والمصالحة مع الله . وكما ان الحمامة قد عادت الى سفينة نوح وفي فيها غصن الزيتون الذي هو علامة وبشارة السلام بعد غسل الارض من خطايا البشر بمياه الطوفان العرموم كذلك نزل الروح القدس بصورة حمامة مبشّراً البشر بغفران الخطايا بغسل الماء وبالمصالحة مع الله . وايضاً للاشارة

الى مفعول العماد السرمي وهو تقويم الوحدة البيعيّة . ولذلك قيل عن المسيح (اف ٥ : ٢٧) : « أعطى نفسهُ ليقيم لذاتهِ كنيسةً مجيدةً لا عيب فيها ولا غضن ولا شيء يشبه ذلك منقيًا اياها بغسل الماء بكلمة الروح » . ومعلوم ان الحمامة هي حيوان صدوق مخلص مُحبّ للائتلاف . امّا كون الروح القدس قد حلّ على التلاميذ بصورة نار فلكي يُبيّن لنا انهُ بعد ان تنقّاهم بغسل الماء يريد ان يضرمهم ويحمّي ذنوبهم بحرارة الايمان فينذروا بالمسيح بين ضيقات الاضطهادات

ويجب ان نلاحظ ان الروح القدس قد نزل على المسيح بصورة جسديّة لا كأن جوهر الروح القدس الغير المنظور بدأ ان يُنظر . ولا كأنّ تلك الحمامة او الخليقة المنظورة قد اتّحدت بأقنوم الروح القدس الالهيّ كما اتحد كلمة الله بالطبيعة البشريّة . لانهُ لا يقال قط ان الروح القدس هو حمامة كما يقال ان ابن الله هو انسان لسبب الاتحاد . فيجب القول ان الروح القدس نزل على المسيح بزيّ حمامة خُلقت اوانئذٍ لتلك الغاية امّا لسبب اعتبار مزيّة الحمامة المشيرة الى الروح القدس وهي نازلة على المسيح كما سرّ الكلام . واما لسبب اعتبار النعمة الروحيّة التي تصدر من الله بطريق النزول الى الخليقة . كما قيل (يع ١ : ١٧) : « كل عطيّة صالحة وكل موهبة كاملة هي من فوق نازلة من ابي الانوار »

ولنختم الآن كلامنا بظهور الآب بزيّ صوت في عماد المسيح . ولنتذكّر ما قلناه في بدء هذه اللمعة ان لاهوت المسيح لم يظهر للجميع في ولادتهِ الجسديّة ظهورًا علنيًا بل ظهورًا مختفيًا وذلك للبعض فقط . ولكن حينما بلغ عمرًا كاملًا قد أعلن في عمادهِ لاهوتهُ بشهادة الثالوث الاقدس . لان عماد المسيح الذي هو نموذج عمادنا يجب ان يبيّن ما يتمّ في عمادنا . والحال ان عمادنا انّما يتمّ ويُقدّس باستدعاء الثالوث الاقدس وقوّتهِ كما قال المسيح (متى ٢٨ : ١٩) : « اذهبوا وعلّموا كل الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » . ولذلك قد ظهر الثالوث في عماد المسيح فانّ الابن ظهر بطبيعتنا البشريّة والروح القدس بصورة حمامةٍ وسُمع صوت الآب يشهد لابنهِ قائلًا : « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ » . ولا يخفى ان الصوت الذي بهِ أعلن الآب نفسهُ في عماد المسيح قد صُوّر بفعل الله او الثالوث الاقدس كما ان تصوير الحمامة والطبيعة البشريّة التي اتّحد بها الكلمة الالهي قد تمّ بفعلهِ ايضًا .

ولذلك لن يعلن الآب بالصوت الا بما انهُ مُبدع الصوت او المتكلم بالصوت . من حيث أنَّ من خاصَّة الآب إصدار الابن او الكلمة . وهذا الاصدار هو عبارة عن النطق او القول العقلي لذلك كان جديرًا بالآب ان يعلن بالصوت الذي يعني الكلمة . وهذا الصوت الصادر من الآب هو كنايةٌ عن إعلان لبنوَّة الكلمة الازليَّة . وكما ان صورة الحمامة ليست طبيعة الروح القدس وليست الطبيعة البشريَّة طبيعة الابن الاصليَّة كذلك هذا الصوت ليس طبيعة الآب المتكلم بل هو من خلقته

وفي هذا المقام وبمناسبة عيد ظهور يسوع المسيح مخلصنا للعالم علينا ان نرفع عقولنا الى السماء متأملين في المحبَّة الالهيَّة التي بها اعلن لنا ربُّنا اسراره الفائقة طور العقل البشري وخاصَّةً سر الثالوث الاقدس المتعالي على كل وصف ونشكر جودته العظيمة التي اخرجت الجنس البشري من ديجور الضلال وظلام الموت الى نور الحيوة مكرِّرين مع بولس الرسول (رومية ١١ : ٣٣) : « يا لعمق غنى الله وحكمتهِ وعلمهِ . ما أبعد احكامه عن الادراك وطُرقه عن الاستقراء . من عرف فكر الرب ومن كان لهُ مشيرًا ومن سبق فأعطى لهُ فيُكافأ . لان كلّ شيء هو منهُ وبهِ واليهِ فلهُ المجد لدى الدهور آمين »

المُكْحلــة

توطئة

نقلنا هذه المقالة عن كتاب مخطوط في مكتبة احدى مدارس البلدة وهي مدرسة الروم الارثدكس المعروفة بالثلاثة اثمار . وقد سبق لنا وصفهُ في العام المتصرم وعنهُ اخذنا المقالات الثلاث في الآلات المنفّسة (المشرق ٩ : ١٨–٢٨) ومقالة بني موسى في الآلات المزمّرة (٤٤٤–٤٥٧) وسماً ورد في هذا المجموع النفيس رسالة في المكحلة لابي محمَّد عبدالله بن قاسم الصقلّي . وان سألت ما هي المكحلة اجبنا انَّ المكحلة في اللغة وعاء يُجعل فيهِ الكحل . ليس لها في المعاجم اللغويَّة معنًى آخر وقد استعمل كتبة القرون المتوسّطة لفظة المكحلة لآلة كانوا يعملون فيها الحرَّاقات والقنط (feu grégeois) يلقون بها على العدوّ (Journ. As., 1850 p. 248) ولها في هذه الرسالة معنى ثالث لم نجد لهُ اثرًا في كتاب اخي الساعة الشمسيَّة (cadran solaire) يتَّخذونها لمعرفة اوقات الصلاة برصد الشمس وظلّها . وللعرب لفظة اخرى اشبع منها وهي المزوَّلة قال في التاج انها آلة للمنجّمين يُعرف بها زوال الشمس قدماها صاحب المقالة مُكحلةً لشبه طلبها بالمكحلة

اما مؤلف هذه المقالة فهو ابو محمد عبدالله بن قاسم بن عبدالله بن يحيى الصقلي وقد بحثنا عنهُ في ما لدينا من تراجم اصحاب علم الهيئة فلم نجد لهُ ذكرًا وهو بلا شكّ ممن عاشوا قبل القرن السادس للهجرة واثاني عشر للمسيح كما يشهد بذلك تاريخ المخطوط الذي نقلنا عنهُ (اطلب المشرق ٩: ١٨-١٩) اما طريقة رسم هذه الآلة الرصدية فهي غير الطريقة الشائعة اليوم وان كان مبناها على مبدأ وقوع ظلّ الشمس في حركاتها النهارية على سطح يُنصَب فيه لسانٌ او ميل . وبين هذه الآلة والاسطرلاب بعض الشبه (راجع مقالة الاب كولنجت في الاسطرلاب في المشرق ٣: ٨٢٩ مع صورة الاسطرلاب ص ٨٢٧ و ٨٣٢) ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم (p. 147)

قال ابو محمّد عبدالله بن قاسم بن عبدالله يحيى الصقلّي

الحمد لله المحمود بكل لسان . المعبود في كلّ مكان . الدائم في العزّ والسلطان . الذي ارسل محمّدًا بالهدى ودين الحقّ ليظهرهُ على الدين كلّهِ ولو كره المشركون . وبعد فيجب على كلّ عاقل بالغ باستكمال سنّ البلوغ والحلم شرعًا النظر والذكر في خالقهِ وصانعهِ وعمّا يجب لهُ وما يُتّقى عنهُ . فاذا علم ذلك وجب عليهِ اتّباع انبيائهِ وامتثال اوامرهِ والوقوف عند نواهيهِ وزواجرهِ . فاذا ما امتثل ما امرهُ تعرّض للثواب الجزيل في الحياة الدنيا وفي الآخرة وان أعرض عن ذلك تعرّض للوعيد والعذاب الشديد على خلاف ما يريد وعلم انّ لهُ ربًّا يتحكّم فيهِ بما يريد لا رادّ لحكمهِ ولا مدبّر غيرهُ . ثمّ يمتثل ما امرهُ بهِ الله على لسان نبيّهِ عليهِ السلام وهي الصلوات الخمس المطلوبات في اوقاتهنّ بركوعهنّ وسجودهنّ وما فُرض عليهِ . فاذا علم ذلك يجب عليهِ معرفة الاوقات لهذه الصلوات ليؤدّيها في اوقاتها اي « معرفة الآلة التي تُعرف بها اوقات الصلوات بالنهار في سائر المدن » وهي الآلة المعروفة بالمكحلة وبها تُستخرَج ساعات النهار وتُعرف فصول السنة

فتبدأ على بركة الله وعونهِ ثمّ تتّخذ من النحاس او من البقس او من الخشب او من اي جسد شئت على هذا الشكل وهو شكل مخروط . ثمّ تقسمهُ باثني عشر قسمًا متساويةً بما دارت وهذه هي قسمة الشهور الاعجميّة وتكتب اسم كلّ شهر في قسم

وترسم تحت تلك القسمة مما يلي اسفل المكحلة قسمة اخرى مخالفة لها وهي لأخذ القبلة لصلاة الظهر . واعلم انّ (148) هذه القسمة للاثني عشر شهراً مرسومة طولاً من اعلى المكحلة الى اسفلها

ثم ترسم ستة خطوط ايضاً عرضاً تقاطع اعلى الخطوط الاثني عشر المقسومة طولاً [وهذه الستة الخطوط المتقاطعة عرضاً تجتمع اطرافها في رأس المكحلة في نصف شهر « دجنبر » من قسمة الشهور الاعجمية المرسومة (١)] طولاً على الخطوط الاثني عشر ثمّ تنفرج على مقدار المكحلة وكلما انفرجت كان انفراجها لنهايته ونهايته في النصف من « يوليه » ثمّ يلتقي في ٦ خطوط لستّ ساعات نازلة ولستّ ساعات طالعة تمام اثني عشر ساعة والخطّ السادس من هذه الخطوط يسمّى خطّ الاستواء وخطّ نصف النهار وهو الخطّ الذي ينتهي الى الدارة التي في اسفل المكحلة وعلى الخطّ الخامس من هذه الخطوط نُقط وعليها مكتوب « ظهر » وعلى الخط الثالث منها نُقط ايضاً مكتوب « عصر » وهي ثلاث في كلّ شهر وهي علامة العصر وهي ايضاً لقسمة الشهر عند الوزن في رأس المكحلة مما يلي الغطاء ثلاث نقط في كلّ شهر لقسمة الشهر عند الوزن ليس لها معبر غير ذلك وما بين الثلاث نُقط اربع فسح هي المعدودة لاربع جُمَع

فاذا اردت ان تزن بالمكحلة انزلتَ اللسان بعد ان تدير الغطاء على مقدار ما مضى من الشهر من تلك الاجزاء الاربعة فانزلتَ طرف اللسان ايضاً على الجزء الذي يوازيه من النقط التي على الخط الذي للعصر حتّى يكون الظلّ على زاوية قائمة وبذلك يصحّ الوزن ان شاء الله

واعلم انّ رأس المكحلة فيه ثلاثة ألسنة فان نقص الاقصر (149) منها في قطر ما وزنتَ بالآخر اطول لانّ التقريب بينهما يسير (٢) خانة اذا لم يصل ظلّهُ الى

(١) ما وضعناهُ بين منقّفين أُعيد مرّتين في الاصل بسهو الناسخ
(٢) هنا كلمة او كلمتان قُرضتا بأكل السوس

خطّ زوال نصف النهـار . فاذا دخلتَ بلدًا فاردتَ ان ترن الشمس كأنك ترصدها حين تستوي في وسط السماء فاذا استويتَ نسبتَ الظلّ في ذلك الوقت بالثلاثة الالسن على مقدار اليوم من الشهر العجميّ الذي انتَ فيه كما اعلمتُك قبل هذا فايّ لسان وقع خطُّهُ في خطّ الزوال في ذلك اليوم فبذلك اللسان الوزن ما دمتَ في تلك البلدة . فان لم يوافقك احد الالسن الثلاثة في خطّ الزوال وجاءت كلّها زائدة عليها فخذ أقصرها وأنقص منهُ قليلًا حتّى يستوي فيه . وان جاءت كلها ناقصة عنهُ فخذ اطولها ومدّ فيه قليلًا حتى يستوي فيه . وهكذا فافعل في كلّ بلدةٍ حللتَ بها واستعمل ذلك في وقت الاستواء لبلاد تفوتك ويفسد عليك الميزان لغير علم

واعلم انك بهذا الاصل الذي ذكرتُ لك اعني زيادة اللسان ونقصانهُ تعمل بالمكحلة في جميع الاقطار لا يختلف ذلك لأنّ منزلة الالسنة في المكحلة بمنزلة الزوال في المبسوط الذي يختلف باختلاف الاقطار ومنزلة الخطوط فيها من المكحلة وهو الظلّ المنكوس بمنزلة الشخص في المبسوط الذي لا يُزاد فيه ولا يُنقَص منهُ فاعلم هذا فانهُ علمٌ حسن

واما طريق العمل بالمكحلة لاخذ الساعات ومعرفة الزوال وقت صلاة الظهر والعصر فاعلم انك ان اردت اخذ الساعات ومعرفة اوقات الصلوات بالمكحلة المذكورة فاعرف في ايّ شهر انت من شهور السنة واعرف كم يوم مضى من الشهر فاذا عرفت ذلك فاقصد اليوم والشهر الى قسمته وأخرج اللسان الذي هو لذلك القطر من جملة الالسن الثلاثة التي في الغطاء فأدِرْهُ على مقدار ما مضى من الشهر على (150) المرتبة المقدّم ذكرها ثمّ تُطبق اللسان على الجسد اعني جسد المكحلة اطباقًا جيّدًا حتى لا يبرح عنهُ في جهة من جهاته وتبعد يدك من اصل الخيط قليلًا اذا علّقتهُ حتى لا تُمسّ هي بشيء من يدك فيفسد الوزن وتستقبل باللسان الشمس حيث كانت فان كانت بالغداة عند طلوع الشمس فليس ترى لهُ ظلًّا وكلّما ارتفعت الشمس نزل ظلُّهُ . فاذا ارتفع الظلّ في اوّل خط من الخطوط الستّة المحيطة بالمكحلة قُلتَ: مضى من النهار ساعة . وكذلك اذا ارتفع قياس الخطّ وقياس المكحلة في نصف الفناء قلت: نصف ساعة . وكذلك تقول في اقيسة الساعات كلها تعدُّ أنصافها وأثلاثها وأرباعها وما كان من اجزائها على التقريب . فاذا وقع في الخطّ الثاني قلتَ: ساعتان . فاذا وقع في الثالث قلتَ: ثلث ساعات . وهكذا الى

السادس فينتصف النهار. ثم تمكث برهةً طويلة وهي في الشتاء اطول منها في الصيف ولا يكون نصف النهار على الحقيقة الّا في نصف تلك البرهة التي يلبث فيها الظلّ في خطّ الزوال راجعاً فاذا نقص الظلّ قلتَ : قد زالت الشمس وحلّ الاذان والصلاة لمن اراد ان يصلّي اوّل الوقت. فاذا نكس الظلّ الى الخط الذي يليهِ راجعاً قلت : سبع ساعات. فاذا نقص الى النقط التي فيها مكتوب « ظهر » قلت : هذا وقت صلاة الجماعة في المساجد. وهو وقت الايراد ووقت استيفاء الذراع في الظلّ المبسوط. فاذا انقبض الظلّ الى الخط الثالث من خط الزوال وهو الخطّ الرابع من راس المكحلة قلتَ : ثمان ساعات. فاذا انقبض الظلّ الى الخطّ الرابع من خطّ الزوال وهو الخط الثالث من راس المكحلة الذي عليهِ النقطة وفيها مكتوب « عصر » قلت : تسع ساعات. وهو اوّل وقت العصر وهو وقت القامة في المبسوط. فاذا انقبض الى الخط الخامس من خط الزوال وهو الخط (الثاني) (151) من الارتفاع والارتفاع من الظلّ فلا يكون بين ما يُستخرج بالحساب وبين ما يؤخذ بالقياس اختلاف قليل ولا كثير

وقد تبيّن لنا ممّا مثّلنا انهُ اذا كان مركز حلقة القياس عند طرف العود فان قُدّر جيب الارتفاع من جيب قامهِ الى $\overline{\text{ه ٩٠}}$ لقُدّر العود من الظلّ فعند هذا تعلم انهُ لا يلزم من قبل اختلاف الصيدان في الطول والقصر شيء يُحسّ بهِ وذلك انهُ يمكنك ان تتوهّم انّ مركز حلقة القياس ابدًا عند طرف العود لانهُ ليس بين مركز حلقة القياس وبين طرف العود وان كان العود كاعظم ما يمكن في الصفة شيء يُحسّ قدرهُ من الارض ولا يختلف من اجلهِ القياس فهو اذًا من فلك ايّ كوكبٍ قستَ اقلّ قدرًا وأبعد من ان يُحسّ

قد بيّنّا ان بُعد الشمس من مركز الارض لا يُعرف الّا بعد معرفة مقدار الارض من فلك الشمس ومعرفة مقدار الارض من فلك الشمس فهو البُعد الذي اياهُ طلبت. وبيّنّا ان استخراج مقدار الارتفاع والارتفاع من الظلّ هو على ما استخرجهُ العلماء صحيح وبيّنّا انهُ ليس من قبل اختلاف الصيدان في الطول والقصر شيء يُحسّ في شيء من الكواكب وبيّنّا ايضاً انهُ لو كان يمكن ان يستخرج من ارتفاع الشمس الموجود ومن ظلّ عود القياس بعد الشمس من مركز الارض لزم ان تكون أبعاد الكواكب كلها من مركز الارض سواء لانّا اذا توهّمنا القمر قد كسف الشمس وطبّق

جرمُ القمر جرمَ الشمس لزم ان يكون ارتفاعهما وظلهما الموجود سواء. ولمَّا استُخرج من الارتفاع والظلّ بعد الشمس من مركز الارض لزم ان يكون بُعد القمر من مركز الارض مثل ذلك سواء. ومثل هذا يمكن في الكواكب كلها تم بحول الله وتوفيقه

ملحق

(قلنا) ولمَّا كان المثل بالمثل يُذكر احببنا ان نثبت هنا ما وجدناهُ في تاريخ قديم مخطوط غُفْل من اسم مؤلفهِ ونقلتْهُ كتاب مرآة الزمان لسبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ. (١٢٥٧م) وكان ابن ابنة ابي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي ويدعى ايضاً بابن كيزوغلي :

في السنة ٦٣٣ (١٢٣٦م) تكامل بناء الايوان الذي أُنشئ مقابل المدرسة المستنصريَّة وعُمل تحتهُ صُفَّة يجلس فيها الطبيب وعندهُ جماعتهُ الذين يشتغلون عليهِ بعلم الطبّ ويقصدهُ المرضى فيداويهم. وبنى في حائط هذه الصفة دائرة وصُوّر فيها صورة الفلك وجُعل فيها طاقات لطاف لها ابواب لطيفة وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب ووراءهما بندقتان من شبهٍ لا يدركهما الناظر فعند مضيّ كل ساعة ينفتح فم البازين وتقع منهما البندقتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات والباب مذهّب فيصير حينئذٍ مفضّضاً. واذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعهما. ثم تطلع اقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقيَّة ويدور مع دورانها ويغيب مع غيبوبتها. فاذا جاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثم يبتدئ في الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيُعلم بذلك اوقات الصلوات (١ . ونظم الشعراء في ذلك اشعاراً منها قول ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من ابياتٍ مدح بها الخليفة :

يا ايها المنصور يا ملكاً ... برأيهِ صعبُ الليالي يهونْ
شيَّدتَ فيه ورضوانهِ ... اشرف بنيانٍ يروق العيونْ
ايوان حسنٍ وضعهُ مدهشٌ ... يحار في منظرهِ الناظرونْ
صُوّر فيه فلكٌ دائرٌ ... والشمس تجري ما لها من سكونْ
دائرةٌ من لازوردٍ حكت ... نقطةُ تبرٍ فيهِ سرٌّ مَصونْ
فتلك في الشكل وهذي سماً ... كمثل هاروتَ كبت وسط تونْ

١) راجع ما نقلناهُ في مجاني الادب (٦: ٢٢٨) لابن جبير في وصف ساعة مثل هذه في باب جيرون

كتاب حديث

في

شمپوليون ومصر (١)

للاب رينه موتره اليسوعي

قد لعب شمپوليون العالم الفرنسوي الشهير دورًا عظيماً في تاريخ مصر فانهُ باكتشافاتهِ قد فتح للعلم عالماً جديداً بقي مجهولاً قروناً متعدّدة. ومع ما احرز لهُ من المجد من هذا القبيل كنتُ لا تكاد تجد لهُ ترجمةً اللهمَّ الّا بعض الاسطر خطَّها لذكرهِ اصحابهُ ومعارفهُ. فهذا الخلل قد سدَّتهُ اليوم آنسة المانية تدعى هرتلابن فصنَّفت كتاباً واسعاً في جلدين ضمَّنتهما اخبار ذلك الرجل الهمام

واوَّل ما يستلفت الانظار عند تصفُّح هذا التأليف الجديد ان صاحبتهُ اتابعها الله لم تُقدم على عملها الّا بعد ان جمعت موادَّهُ من مصادر شتَّى يوثق بها وحسبك دليلاً على فعلها جدول التآليف المتعدّدة التي سردت اسماءها في مقدّمتها مع ذكر كثير من العلماء والاثريين وتظار المتاحف رانساء شمپوليون واصدقائهِ الذين اعانوها في هذا العمل الجليل فجاء طبق المرام لا ينقصهُ شيء من اسباب الحسن والاتقان ولذلك قد اثنى على هذا التأليف رجلان لا يشكّ احد في طول باعهما واصالة رأيهما اعني بهما العالمين الفاضلين مسپرو وماير فانهما وجدا في هذا المصنَّف مثالاً صادقاً رُسمت فيهِ مع تمام الشبه صورة ذلك العالم المبرّز فتزنو اليها الابصار وتقرُّ لمحاسنها العيون

*

ومما افادتهُ الكتابة الادبية هرتلابن ما اتت بهِ من الحجج الراهنة لتثبت لصاحب الترجمة السبقيَّة في كشف اسرار الكتابات المصريَّة الهيروغليفيَّة. وكان البعض قد ادَّعوا ان شمپوليون قد تتبَّع آثار عالم آخر انكليزي الاصل سبقهُ الى هذا الاكتشاف يُدعى يُنغ (Young) فيزعمون استنادًا الى اقوال يُنغ نفسهِ انهُ هو الذي مهَّد

(١) اسمهُ في الالمانيَّة :

CHAMPOLLION. Sein Leben und sein Werk von H. Hartleben, mit einem Titelbild, einer Tafel und 19 in dem Text gedruckten Abbild., in-8°, *Berlin. Weidmannsche Buchhandlung*, 1906.

الطريق لقرينهِ وارشدهُ الى قراءة الخطّ الهيروغليفيّ (١ . فردًّا على هذا الزعم الباطل بيّنت الآنسة هرتلابن انّ الذي استفادهُ شمپوليون من اعمال قرينهِ نزرٌ قليل وانّ هذا العالم كان وقف منذ السنة ١٨١٠ على خواصّ الكتابة الهيروغليفيّة وموافقتها لاصوات معلومة وفي ذلك كان السرّ العظيم المؤذن بحلّ رموزها . امّا يُنغ فانهُ لم ينشر كتابهُ في الكتابات المصريّة وتطبيقها للاصوات الّا السنة ١٨١٤ . ثمّ ان يُنغ بعد ان بيّن معاني بعض العلامات المصريّة احجم عن العمل فبقي شغلهُ عتيمًا على خلاف شمپوليون الذي جرى على طريقة علميّة وعلى اسلوب ثابت شرحهُ في رسالتهِ الى المسيو داسيه (Dacier) المؤرخة في ٢١ ايلول سنة ١٨٢٢ ثم نشر في السنة ١٨٢٤ كتابهُ الذي عنوانهُ « خلاصة الطريقة الهيروغليفيّة عند قدماء المصريين »

ولمّا انجز شمپوليون تأليفهُ اراد ان يعرضهُ على الآثار المصريّة التي جمعتها الدول في متاحفها ليستدلّ بهذه المقابلة على صحة اكتشافهِ وعلى مضامين تلك الكنوز الادبيّة المجهولة . فزار اوّلا متحف تورين الشهير بمجموع عاديّاتهِ المصريّة ثم اخذ في تنظيم آثار مصر التي كانت في باريس

وفي سنة ١٨٢٨ قدّمت لهُ الحكومة الفرنساويّة ١٢٠٠٠ فرنك ليباشر سفرًا علميًّا الى مصر وتكلّفت كلّ مصاريف رحلتهِ . وهنا قد اطلقت الكاتبة الفاضلة العنان لقلمها لتعرّف القرّاء ليس فقط باعمال بطلها بل بنفسهِ واخلاقهِ الكريمة وسجاياهُ الفريدة في سرّهِ وعلانيتهِ وولعهِ بالابحاث العقليّة . كما انّها وصفت احسن وصف رفقتهُ الذين صحبوهُ في بعثهِ لا سيّما نسطور لوهت (Nestor l'Hôte) ذا الطبع الفكه واللسان الذلق الذي ساعد شمپوليون في جمع الآثار المصريّة وقام وقعد للحصول على شيء من بقاياها ومحصولاتها ونباتها حتّى انهُ كان ينسى الاكل والشرب واللبس في سبيلها مع حثّهِ للمداعبات واسترسالهِ في الاقاصيص المضحكة . وممّن احسنت وصفهم دولة خديوي مصر محمّد علي الذي اكرم وفادة شمپوليون وسهّل لهُ العمل مع عظم هيبتهِ في النفوس وشدّة مراسهِ . هذا الى اوصاف اخرى تجدها في هذه الترجمة من امكنة وبلدان وآثار وابنية تزيد القارئ شوقًا في مطالعتها

(١ اطلب تاريخ المسيو مسپرو (Maspéro: *Hist. anc. des peuples de l'Orient*, p. 828) وقد بيّن هناك المؤلف ما كانت حصّة يُنغ في هذا العمل

*

وما كاد شمبوليون يطأ ارض مصر عند نزوله في الاسكندريَّة حتَّى قبَّل تربتها وشكر البارئ على انهُ وفَّقهُ لنوال امانيهِ وكان عمرهُ اذ ذاك ٣٨ سنةً لهُ في درس الخطوط المصريَّة ٢٦ سنة لا ينقطع عنها ليلًا مع نهار . وكان منذ تفرَّد لهذه الابحاث في سن الثانية عشرة لا يتوق الَّا الى مصر ولا يفكر في سواها لعلمهِ بان رموز مخطوطاتها لا ينجلي لديهِ تمامًا الَّا اذا شاهد ارض الفراعنة . وكان في اثناء ذلك يعدُّ نفسهُ لهذه الاكتشافات بتعلم اللغات العبرانيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة بل اراد درس الفارسيَّة والصينيَّة امَّا العربيَّة والقبطيَّة فانهُ كان يحكم معرفتهما وكان وضع كتابًا مطوَّلًا في جلدين عنونهُ « بصر في عهد الفراعنة » جمع فيهِ كلَّ ما وجدهُ عن قدماء المصريين في كتب اليونان والقبط والعرب . وكلّ هذه الدروس كان اتَّخذها كتوطئة لاكتشاف معمَّيات المخطوطات المصريَّة . فلمَّا داس ارض مصر احسَّ بانهُ سيجد فيها مسك ختام اشغالهِ واتعابهِ

وما بادر الى عملهِ هو ورفقتهُ انهم تقلَّدوا الشرقيين في ازيائهم واعمالهم فارخوا لحاهم وحلقوا شعر رأسهم ولبسوا العمائم وتقلَّدوا السيوف الشرقيَّة . ثم ركبوا قناة النيل المعروفة بالمحموديَّة على سفينتين جُهِّزتا لخدمتهم وهما ايزيس اكبر المراكب المصريَّة في ذلك العهد كان يركبها الخديويّ عينهُ وذهبيَّة بديعة تدعى هاتور

وكان وصول هؤلاء العلماء الى القاهرة في ٢٠ ايلول فدخلوها من باب الاسراء فاجتازوا من بولاق الى الازبكيَّة . وكان المصريون قد سمعوا بخبر العالم المقدام الذي عوَّل على قراءة مكتوبات قدماء مواطنيهم فرحَّبوا بهِ واكرموا مثواهُ امَّا هو فاستبشر بهذه الملاقاة ووعد نفسهُ بالخير

فزار اوَّلًا انحاء تلك المدينة التي دعاها في رسائلهِ « مدينة الالف منارة » فدار في كلّ جهاتها وعاين كلّ آثارها وكان هو ورفقتهُ يقومون صباحًا ويركبون الحمير الفارهة التي اعجبهم سيرها الحثيث فيتجوَّلون على متونها حتَّى اقاصي البلدة لا يدفعون في حقّ ركوبها سوى اربعة غروش مصريَّة

وبينما كانوا يقضون نهارهم في زيارة القاهرة كانوا يصرفون قسمًا من الليل في إعداد ما يلزمهم لبحثهم العلميَّة فانجزوا ذلك بعد عشرة ايَّام . وكانت نيَّة شمبوليون

يصعد النيل الى جنادله الثانية دون ان ينزل في ضفاف النيل اللهمَّ الَّا الزمن اللازم ليتحقَّق ما يجده من بقايا المدن القديمة ويأخذ صوَر الآثار المهمَّة مؤجِّلًا درسها لوقت نزوله في الحواضر

ولم يشأ شمپوليون في رحلته هـذه ان يبحث عن آثار جديدة لقلَّة ما لديه من الوسائط لهذه الغاية وانَّما اكتفى بمراجعة ما وصفهُ العلماء من قبلهِ فنسخ بضبط وتدقيق ما سبقوا الى تمثيـل صورته ليتفرَّغ عند رجوعهِ الى درس هذه الكتابات وبيان معانيها على الطريقة التي اكتشفها

وباشر شمپوليون عملهُ بزيارة آثار منف ثم اهرام الجيزة وتمثال ابي الهول . ولم تكن بعد الطريق بين مصر والقاهرة قد فُتحت فركب النيل الى بدرشين . فلقي في « ميت رينه » تمثال رعمسيس الثاني وتعجَّب ممَّا رآهُ فيهِ من حسن الصورة ودقَّة الصنع الجبَّاري ثمَّ اعمل النظر في صورة ابي الهول لكنَّهُ وجدهُ غائصًا في الرمل والاطلال فلم يسمح لهُ الوقت بان يتبيَّن خواصّ هذه الدمية وكان سبق فكتب انَّ وجههُ كوجه العبيد . ثمَّ تفقَّد الاهرام وجرى لهُ عند نظرهِ لها ما جرى لكثير من الزوَّار الذين عند تقريبهم منها لم يجدوا فيها ما كانوا ينتظرونهُ من ضخامة الاقدار ومهابة المرأى وكاد ينسب الى الغلوّ والمبالغة ما كتبهُ فيهـا الكتبة لولا انهُ تحقَّق صدقهم بقياس حجارتها الضخمة . وكان القرويُّون واهل البادية الذين هناك تقاطروا حول شمپوليون ورفقتهِ « على عدد النمل » فكان يطيِّب قلوبهم ويلقي عليهم الاسئلة ليسمع منهم الاقاصيص الشائعة بينهم عن تلك الآثار العجيبة لعلَّهُ يستدلُّ بها على بعض غاياتهِ

ثمَّ عاد فركب السفينة وصعد النيل الى منية حيث وجد معملين للقطن فساءهُ انَّهما أُجلا على بقايا آثار قديمة فشوَّها محاسنها . ونزل في اسيوط فوجد فيها سوقًا رائجة للقوافل العديدة من الشام وما بين النهرين وجزيرة العرب كلّهـا تأتيها للتجارة مع القبائل الافريقيَّـة . ولمَّا انتهى الى جرجه مال الى الشمال ليزور آثار ابيدوس فمرَّ على محابس قدماء النسَّاك والرهبان لاسيَّما التي كانت في تابنَّة

وممَّا جلب الانذهال لشمپوليون هيكل دندرة العجيب لكنَّهُ بعـد تفقُّدهِ عرف انهُ اقرب عهدًا الى زماننا ممَّا زعم العلماء قبلًا . امَّا الأقصر فأنَّـهُ دُهش برأى آثارها الغريبة وممَّا كتبهُ فيها اوانئذٍ : « اننا نحن الاوربيين نستعظم اعمالنا وأيم الحقّ انَّنا لسنا

اذا عرضنا آثارنا بآثار قدماء المصريين الّا كالاقزام بالنسبة الى الجبابرة فان بين مآثرهم ومآثرنا كما بين الثريّا والثرى

وكان شمبوليون في هذه الرحلة يواصل شغله ليلًا مع نهار لا يدّخر عناء في سبيل غايته يتّخذ مع اصحابه الحنيض فراشًا والسماء غطاء. وربّما كان هو يقوم ليلًا فيوقد فانوسًا ويتفقّد وحده الآثار في المقاور والاسراب فيدوّن ما لم يسمح لهُ الوقت في نسخهِ في النهار حتّى هُدّت قواهُ بهذا الشغل الزائد وكاد يخور في طريقهِ لا سيّما انّ مزاجهُ كان ضعيفًا نحيفًا. فوصل الى اسوان بعد الجهد والعناء. وبعد ان اخذ قليلًا من الراحة اسرع الى تتمّة سفرهِ فبلغ في ٣٠ كانون الاوّل من السنة ١٨٢٨ قرية ابي سنبل على بُعد نصف ساعة شمالًا من الشلّالة التي قصدها. وبذلك انتهى القسم الاوّل من رحلة البعثة فاسرع شمبوليون وكتب لكاتب اسرار المجمع العلميّ في باريس المسيو داسيه ما تعريبهُ: «اني افيدك بملء الفرح والرضى انّ ما وجدناهُ حتّى الآن في رحلتنا من الكتابات المصريّة يوافق تمامًا ما سبقنا فقرّرناهُ في الجدّيّة الخطّ المصريّ فلا يحتاج الى شيء من التحوير والاصلاح فترى بذلك انّ تنشيطك لدروسي لم يذهب سدًى ولنّ الذين اطلقوا لسانهم في عذلي وتخطئتي قد طاش سهمهم»

*

ثم قفل شمبوليون راجعًا الى القاهرة وكان في ايابهِ يتعقّب الابنية القديمة كما في الذهاب ومّما زارهُ هيكل «درّ» الذي سمع ادباء الوطنيين ينسبون بناءهُ «الى الفرنسويين والمسكوب والانكليز منذ ٣٠٠,٠٠٠ سنة». وقضى ايضًا مدّة في الاقصر ليتتبّع ما فاتهُ من آثارها. واخذ يمعن النظر في احدى مسلّاتها كيف يتوصّل الى نقلها الى باريس فتوفّق الى طريقة العمل ودلّ على ذلك بتدقيق عجيب فامتثل الصنّاع امرهُ ووصلت المسلّة الى باريس دون اذًى سنة ١٨٣٢ اربعة اشهر قبل وفاة شمبوليون وكان ثقلها مع غلافها الخشبيّ بالنّا ٢٥٠,٠٠٠ كيلو

وفي ثيبة جعل شمبوليون يدرس درسًا تامًّا تاريخ الشلّالات المصريّة وتقاويم قدماء المصريين فكتب في ذلك عدّة كتابات لم ينجز عملها. وفي الكرنك صرف النظر الى النقوش التاريخيّة التي فيها فمُني برسم اكثر من ٥٠ شكلًا منها

وكان شمبوليون طول مدّة سفرهِ يعود في كلّ مساء الى ما رآهُ ونسخهُ في نهارهِ

فيحكم فيهِ النظر ويصلح ما يرى اصلاحهُ ويأخذ خلاصة كلّ شيء ليكون على بيّنةٍ من العمل ويصف وصفاً كافياً لكل اثرٍ وجدهُ . وقد نُشرت كلّ هذه الكتابات وهي تنبئ بثاقب عقل كاتبها وعلمهِ العجيب . فترى من ثمَّ انَّ شمبوليون في ايابهِ لم ينفكَّ عن الشغل لا بل كان شغلهُ ادقّ واتعب حتّى زاد ضنكهُ وقد وجدهُ رفقتهُ يوماً في مدفن رعمسيس السادس في ثيبة مغشيّاً عليهِ فرأى انهُ من الواجب اللازب ان يعود الى فرنسة . فكان وصولهُ الى طولون في ليلة عيد الميلاد من السنة ١٨٢٩

على انَّ هواء الوطن لم يحسّن كثيراً صحة العليل فعاش سنتين واشهراً بين انتقاه وانتكاس حتّى لبّى دعوة ربّهِ في ٣ آذار من السنة ١٨٣٢ . وكان العلماء الفرنساويون بعد عودتهِ اجمعوا على فضلهِ فجازوهُ بان نظموهُ في عداد امناء المكتب العلميّ ووكلوا اليهِ الرتبة الاولى في تدريس الآثار المصريّة في مكتب فرنسة . لكنَّ هذا الجد الاثيل لم يذقهُ شمبوليون زمناً طويلاً فمات قبل ان يتمّ الصرح العلميّ العظيم الذي باشر بتشييدهِ الّا انهُ انجز فقط غراماطيق اللغة المصريّة الذي ظهر بعد وفاتهِ بقليل

امّا المواد الواسعة التي كان جمعها فاقبل عليها العلماء ونشروا معظمها لا سيما اخا الفقيد « شمبوليون فيجاك » وكان اكبر منهُ سنّاً يخلص لهُ المحبّة ويقدّر اعمالهُ حقّ قدرها فطبع منها كتاباً نفيساً دعاهُ « آثار مصر والنوبة كما رسمها في مواقعها شمبوليون مع تعريفها ووصفها » ونشر ايضاً لهُ « كتاب معجم الخطوط الهيروغليفيّة » وكلاهما من التآليف البديعة

وتوفّي شمبوليون وعمرهُ لا يزيد على ٤١ سنةً وفي هذه المدّة من حياتهِ تمكّن من كشف اسرار الخطوط المصريّة ووضع كتاباً مدقّقاً في كلّ خواص لغة قدماء المصريين وبيّن طرائقهم الحسابيّة ودوّن تواريخ سلالاتهم وعرّف اعلام بلدانهم . فهذه المشروعات الجليلة وغيرها ايضاً قد احسنت في وصفها كاتبة هذه الترجمة الاديبة فاقامت بعملها اثراً خطيراً لذلك الرجل المقدام يُسرّ بمراجعتهِ المكلفون بتواريخ مصر . ولعلّها تزيد على فضلها هذا ان واقفت ما طلبهُ منها المسيو مسپرو بأن تنشر كلّ رسائل شمبوليون التي كتبها من ايطالية ومصر فتخدم بذلك الآداب خدمةً تُذكر فتُشكر

بصر الحيوان البحريّ في اعماق البحار

للدكتور كونيغ طبيب امراض العيون في بيروت

شطَّ العلماء شططاً عظيماً الى اوائل القرن التاسع عشر في ما كتبوهُ عن اعماق البحار فان لهم في ذلك آراء غريبة يُضحك منها . ناهيك بانَّ احدهم وهو الفرنسويّ بارون كان يزعم انَّ قاع البحر مغطًّى بالجليد . الّا انَّـهُ سنة ١٨٢٨ رحل جون روس (S. John Ross) الى الجهـات القطبيَّة فقاس في امركة الشماليَّة اعماق خليج بافين فبلغ الى عمق ١٠٥٠ باع (والباع عندهم متر ٨٣ سنتمترًا) فاجتذب من قاع البحر حمأةً وجد فيها اصداف حيوانات حيَّة فتحقَّق من ثمَّ ارباب الطبيعة انَّـهُ يمكن بعض الحيوانات ان تعيش في اعماق البحر حتى في الاقطار الشماليَّة القاصية

وفي السنة ١٨٥٠ وجد احد السيَّاح النرويجيين يُدعى سَرْس في جهات لافوتن على عمق ٤٥٠ باعًا عددًا وافرًا من الحيوانات المائيَّة

وبعد هذا توفَّرت الدلائل على وجود المواليد الحيوانيَّة في اغوار البحر وذلك في النصف الاخير لمَّا حاولت الدول مدَّ القلوس البحريَّة في الاوقيانوس للمراسلات التلغرافيَّة بين اوربَّـة واموركة فتبيَّن لاصحاب العمل انَّ حيوانات جمة تعيش في أغوار البحار على عمق الف باع . وزاد الامر وضوحاً لمَّا انقطع الحبـل التلغرافي الممدود في الاوقيانوس سنة ١٨٥٨ والحبل الموصل بين سردينية والجزائر . فنظروا الى الحبال واذا بعدد لا يحصى من الحيوانات البحريَّة كانت قد لصقت بها وكانت انواعها مختلفةً تبلغ خمسة عشر نوعاً . وكان لم يمرّ على مدّ هذه الاسلاك اكثر من ثلاث سنوات في عمق ٣٦٠٠ متر

ومذ ذاك الحين تنبَّهت الافكار الى البحث عن المواليد الحيوانيَّة في قاع البحار وتشكَّلت البعثات العلميَّة لهذا الشأن منها بعثة انكليزيَّة على المركب المسمَّى «پرُزْرپين» من السنة ١٨٦٨ الى ١٨٧٠ ثم بعثة تشالنغ سنة ١٨٧٢ ثم بعثـة المانيَّة على السفينة المسمَّاة بالتزال ١٨٧٤—١٨٧٦ وليتها بعدئذٍ رحلات غيرها منها للاميركان ومنها اربع رحلات كبيرة للفرنسويين في البحر المتوسط ثمَّ لسفار اخرى للايطاليين والنسويين

كان السفر الاخير في البحر الاحمر . وكل هذه الرحل اتت بالفوائد الجمّة لتعريف حياة الحيوان في غمر المياه وممّن اشتهروا بابحاثهم في هذا الشأن امير موناكو . وكذلك في زماننا جرت سنة ١٨٩٠ بمثة السفينة ڤلديڤيا الالمانيّة فأتت بمعلومات وافرة

ومما اتّصل اليه اصحاب هذه المشروعات العلميّة انّهم بلغوا في ابحاثهم الى اعماق عجيبة في البحر فانّهم قريباً من جزيرة اللصوص ادركوا عمقاً لا يقلّ عن ٩٦٤٤ متر وعند جزيرة طنغا ٩٠٠٠ متر وان قستَ مقدار الضغط الذي تحملهُ الاجساد في تلك الاغوار وجدت انّها تناهز الف جَلَد . فاستنتج العلماء من ذلك انّ للحيوانات العائشة في اقاصي البحار خواصّ مختلفة عن احوال سواها من الحيوان

وهنا نتيجة اخرى توصّلوا اليها تهمّنا الآن ونوّخينا عرضها على القرّاء اعني مسألة النور . كيف يا تُرى يمكن تلك المواليد ان تحيا وتقوم باحوال معاشها في قعر البحار دون النور . هذا سرّ لا يُدرَك لو شُبّهت حالة تلك الحيوانات البحريّة بحالة الحيوان على الارض . فانهُ لا يخفى انّ مفاعيل النور على الارض عجيبة اذ لولاهُ لسكنت كلّ حركة وجمدت كلّ حياة ومات كلّ حيوان . امّا في اعماق البحر فانّ ضوء النيّرات كالشمس والقمر والكواكب لا يبلغ الّا الى اقدار معلومة تختلف بعض الاختلاف مع حالة الجوّ في صفائهِ او ظلمتهِ ومع سكون البحر او هيجانهِ ومع نقاوة المياه او كدورتها

وقد اخترع الطبيعيّون في زماننا مقاييس شتّى ليقيسوا بها قوّة النور في طبقات البحر العليا والوسطى والسفلى . منها آلة سيمنس (Siemens) الفوتوغرافيّة . وهي تتألّف كالجهاز الفوتوغرافيّ من غرفة مظلمة يركّبون في علبتها صفائح تُطلى بالبروم والفلام . وهذه الصفائح مجهّزة بحيث ينكشف غطاؤها اذا بلغت عمقاً معلوماً فتتأثر من النور ان وُجد واذا سُحبت الآلة انحجبت الصفائح كما كانت . فمن هذه الاختبارات قد تحقّق العلماء انّ الصفائح الفوتغرافيّة لا يفعل فيها النور ان بلغت عمقاً مسافتهُ ٤٠٠ متر . وقد عارض سيمنس العالم پترسن (Petersen) فاثبت انّ لنور الشمس فعلاً في مياه البحر الى حدّ ٥٥٠ مترًا . امّا ڤريل (Verill) فقد رجّح كون الشمس بنورها تعمل في اعماق البحر كما تعمل المصابيح ذات النور الاخضر الكاشف الّا انّ هذا النور يكون ثابتاً امّا اذا بلغ اعماقاً اعظم فيكون متلاشياً يخفق ويتموّج كنور

الكواكب ولا شكَّ انهُ ليس من برهان مُقنع بان لنور الشمس تأثيرًا في الاعماق التي تتراوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠ متر

فمن اين اذن تستمدُّ هذه الحيوانات ما تحتاج اليهِ من النور لحياتها؟ أليس لها مصادر اخرى تنال منها نورها؟ نعم والغريب من ذلك انَّها لا تأخذ هذا النور الَّا من نفسها فانَّ لها اجهزةً تكفيها لذلك كما استدلُّوا بالامتحانات والنظر في اجسامها. قال العلماء الذين ركبوا سفينة ڤلديفية: «انهُ لمرأى فتَّان يأخذ بالابصار ان تنظر الى الشبكة التي بها تُنبَّر اعماق البحر فيُستخرَج بها شيء من قاعهِ. فاذا فُتحت الشبكة في ظلمة الليل رأيت فيها عددًا من الحيوانات والدويبات الحيَّة وكأنها تشعُّ باشعَّة منيرة وتتألَّق بلمعان عجيب. منها هوامّ صغيرة ومنها دود مستدقّ ونجوم البحر واصداف متنوّعة وخصوصًا ضروب من الاسماك الصغرى وكلها يلمع بنورهِ وهذا النور تراهُ امَّا في خاصرتي الحيوان واما في بطنهِ ولهُ اجهزة نوريَّة تشبه المرايا المقعَّرة او الحدَّبة فتلوح اذا سطعت انوارها كوقاد ناريَّة او سُرج كهربائيَّة دقيقة وبعض من هذا الحيوان يحمل سراجهُ اللامع على رأسهِ او تحت حنكهِ. ولهذه الاجهزة اعصابٌ يتصرَّف الحيوان بتدبيرها كيفما يشاء فيسرج سراجهُ اذا شاء او يطفئهُ ان احب»

هذه بعض مقدَّمات اردنا تصديرها قبل ان نتَّسع في موضوعنا وهو ان نبيّن انَّ الخالق جهَّز لهذه الحيوانات حاسَّة بصريَّة موافقة لاحوالها في قاع البحر لتمَّ هناك اسباب معاشها. وفي قسم آخر نفيض الكلام في ما توخَّينا بيانهُ (له تتمَّة)

عاصمة الحبش

للصيدلي الاديب عبدالله افندي نخايل رعد

عاصمة الامبراطورية الحبشية اليوم اديس ابابا — وبالعربية الزهرة الجديدة — وقد تنقلت هذه السدَّة جملة مرات في عهد الملوك الاسبقين فكانت اولاً مدينة اكسوم ويعتبرها الاحباش الى اليوم بلدة مقدسة لما فيها من اثار الكنائس والاديرة والابنية القديمة. ثم مدينة كوندر. ثم ديراتابر. ثم عدوى التي جرت فيها الموقعة المعلومة في حرب الطليان والحبش. ثم لاليبلا وهي بلدة شهيرة ايضاً بابنيتها وتذكاراتها

القديمة . ثم انكوبر وهي مبنية على راس جبل تطل على صحراء الدناكل . ثم اطوطو التي توج فيها النجاشي منليك ملك الشوا بعد وفاة الامبراطور يوحنس امبراطوراً على الحبشة في ٤ ت ٢ سنة ١٨٨٩ وهو العاصل الحالي الذي نقل العاصمة الى اديس ابابا

١ وصفها

اما هذه المدينة فهي عبارة عن قرية واسعة الارجاء والانحاء او بالحري مجموع قرى كثيرة تغطي من الارض مساحة نحو من خمسة وعشرين الى الثلاثين كيلومتراً مربعاً وفيها قدر خمسين الفاً من السكان المستوطنين لكنهُ يقدمها في كل يوم مما جاورها من الانحاء قدر العدد المذكور ايضاً وكذلك لا تخلو دائماً من حاكم او امير حبشي جاء لمواجهة سيده النجاشي فتبعهُ من عساكره وآل بلده اقله ثلاثون او اربعون الفاً فاصبحت المدينة تحتوي على نحو المائة والاربعين الفاً هذا ان لم يأتِ من الحكام او الرؤساء او الامراء ثلاثة او اربعة في آن واحد فيجتمع عندئذٍ في العاصمة مئتان وخمسون او ثلاثمائة الف نفس بل ازيد وكلما حضر هكذا احد ممن ذكرنا مكث في العاصمة ستة اشهر على الاقل فترى عند ذلك البلدة على اتساعها وما جاورها من السهول القريبة مغطاة بالسرادق البيضاء حيث يأوي هؤلاء الغرباء فيخال لك انك في معسكر حربي

اما عن مركز المدينة التوبوغرافي والجيوغرافي والطبيعي فاديس ابابا كناية عن مجموع تلال كثيرة يفصل بينها انهار ماء جارية تقسمها الى احياء منها حي أراده وهو المركز او البندر التجاري وفيهِ الوكالة الطليانية . وحي الارمن دعي بهذا الاسم اذ سكنتهُ اكثر الجالية الارمنية وفيهِ الوكالة الالمانية والوكالة البلجكية والدار الاسقفية ويدعو بعضهم هذا الحي حي المطران . وحي كبانا اخذ اسمه من نهر كبانا الذي يجري فيهِ وهذه المحلة مركز الوكالة البريطانية والوكالة الروسية والمستشفى الروسي . وحي روئيل سمي كذلك على اسم كنيسة الملاك روئيل (؟) المبنية فيهِ . ومثله حي القديس جاورجيوس وحي الثالوث الاقدس وحي الملاك ميخائيل على اسم

الكنائس القائمة على قممهـا وحي الراس مكونين بـه قصر هذا الامـير المتوفى وعلى مقربة منهُ بنك الحبشة والوكالة الفرنسـاوية وهي لم تزل بيوتها ومساكنها حتى مسكن الوزير نفسه من هشيم كما كانت الوكالات كلهـا من ذي قبل ولم تبن فيها الى اليوم الحكومة الافرنسيـة بناية جيـدة اسوةً بباقي الدول التي بنت كلها الوكالات الجميلة الفخيمة . وغير ذلك من الاحياء التي لا اسم لها الى اليوم لقلة اهمية مركزها

وفي منتصف هذه الاحياء تقريباً رابية عالية محاطة بثلاث نطق من الاسوار ترى من بعيد بابنيتهـا الجميلة البيضاء واسقفتها المصنوعة كلهـا بالصفائح واشجارها العالية وحدائقها الغناء كانها قرية من اجمل القرى الاوربية وهي البلاط الامبراطوري وتوابعه وملحقاته وعلى قمته قصر النجاشي مستدير كالبرج يشاهد منهُ البلاط والمدينة كلها . هناك يجلس جلالـة الامبراطور منايك في ساعات الراحة وبيده منظار فيرقب كل ما يتحرك في المدينة . واذا وقفت على قمة احدى تلك الروابي واجلت النظر ذات اليمين وذات الشمال رأيت المدينـة قائمة احياؤها في وسط سهل واسع جميل تحتاطه من جهاته الاربع جبال عاليـة فتمنطقهُ كانهـا السور المنيع والقلعة الحصينة . وهذه الاطواد هي جبل انطوطـو في الشمال وجبل إدير من الجنوب وجبـل منا كشا من الغرب وسلسلة جبال سولولتا من الشرق . وان رمت ان تعلم نقطة موقع اديس ابابا جيوغرافياً فهاكه على وجه التقريب : هي في الدرجة ½ ٩ من العرض الشمالي و ½ ٣٧ من الطول الشرقي على موجب خط باريس وتعلو سطح البحر ٢٫٥٠٠ متر

٢ مناخها وعواملها الطبيعيّة

مناخ اديس ابابا جيد وهواؤها عليل وهي تحسب من البلاد المعتدلة بالرغم عن وقوعها ضمن منطقـة الجدي الشمالي وذلك لعلو مركزها كل هذا الارتفاع عن سطح البحر . فأقـل درجة يهبط اليهـا العمود الزئبقي هي + ٨ واعلاها + ٢٥ والمتوسط من + ١٥ الى + ٢٠ على حساب التعديل المئوي (سنتغراد) . ومما يزيد هذا المناخ اعتدالاً هو ابتعاد المساكن عن بعضها وسعة مساحة المدينة وكثرة الاشجار

التي معظمها الاوكاليبتوس ولا مشاحة في طيب هواء هذا النبات. اما الماء فهو عذب طيب واكثره آبار حفرها الاوربيون في بيوتهم وقد حذا حذوهم كثير من الوطنيين على ان العدد الاكبر من هؤلاء يرد من الينابيع التي تتدفق في بعض احياء المدينة وخصوصاً في سفح الاكمات وهي لا تقل عن ماء الآبار طيبة وعذوبة وصفاء.

اما تقسيم السنة من حيث الفصول فأديس ابابا كباقي البلاد الواقعة ضمن المناطق الحارة ان في العالم الاسود او في العالم الجديد تقسم فصولها الى قسمين فصل الشتاء وفصل الصيف او بعبارة اصح فصل الامطار وفصل النشوفة. فالاول في عرف آل هذه البلاد ثلاثة اشهر من نصف شهر سانيه وهو بارونه القبطي الى منتصف مسكرام وهو توت فيسقط فيه امطار كثيرة قد لا ينقطع لها خيط مدة ثمانية او عشرة ايام متوالية ولا يصحو الجو يوماً حتى تعود الغيوم الى التكاثف والغيث الى الانهمال فتصبح طرقات المدينة صعبة السلوك بل مستحيلة في بعض الامكنة ويضحي الوحل لا يقدر فيتعذر المرور فيه حتى ولو كان الانسان راكباً فرساً او بغلاً. ولولا بعض الطرقات التي مدها جلالة النجاشي ليسير فيها على العربة لاستحال قطعياً الذهاب في احياء المدينة مدة الفصل كله. وقد رأيت راي العين حماراً غرزت قوائمه الاربع في الوحل فاضطر اصحابه ان يغادروه في مكانه بعد ان اعيتهم وسائل انتشاله فمات على حالته. على انهُ كثيراً ما تطول المسافة بسبب دوران الطريق المذكورة المفروشة بالحصى والرمل فيضطر الانسان ان يقطع بساعة كاملة ما لا تكاد تتجاوز مسافته العشر دقائق في ايام النشوفة

وقد بنيت بعض الجسور بعضها بالحجارة والنورة وبعضها بالحديد بين حي وآخر ولولاها لاستحال قطع الغدران الجارية بين تلة واخرى فانها اي الغدران تتحول في هذا الفصل الى سيول جارفة سريعة الجري وكثيرة العمق. وفصل النشوفة يدوم ما بقي من ايام السنة على انهُ يتخلل هذا الفصل الطويل نحو الشهر من الامطار وذلك في النصف الثاني من شباط والنصف الاول من اذار وقد يتأخر احياناً هذا الفصل

فيكون بين اذار ونيسان او يتقدم فيبتدئ في اوائل شباط . على ان هذا الفصل المتوسط وان كان قليل الايام الا ان امطاره تكون عادة غزيرة وغير متواصلة . وفيما سوى ذلك لا تعدم ارض اديس ابابا وضواحيها في مدة فصل النشوفة من بعض رشات صغيرة من وقت الى آخر اقله مرة في كل شهر تنعش القلوب وتخفف وطأة الغبار التي تقوم في هذا الفصل مقام الوحل في ايام الامطار. اما الربيع والخريف فلهما اسماء في لغة الاحباش تكن لغير مسمى

مطبوعات شرقية جديدة

GRAMMATICA DELLA LINGUA AMARICA. Metodo pratico per l'insegnamento di G. J. Afevork. *Roma*, 1905. gr. in-8° 326, pp.

اصول اللغة الامحرية

الامحريّة لغة الاحباش وقد افرد لها المشرق مقالة (٨: ٣١٤—٣٢٠) بيّن فيها خواصها وذكر التآليف التي وُضعت في قواعدها وآدابها وها هنا بتأليف جديد لدرس هذه اللغة وضعهُ في الايطاليّة العلّامة أنيترك ولم يقصد بتصنيفهِ التعمّق في اصولها العلميّة وانّما اراد خصوصاً تعريف خواصّهِ وتقريب درسهِ على من يرغب التكلّم بها سريعاً وقد اطّلعنا على الكتاب فوجدناهُ حسن التقسيم قريب المنال . وقد قدّم على كلّ فصل منهُ قواعد غاية في الوضوح والحقهُ بتمرينات شتّى حسنة التنظيم ينتقل فيها الدارس من السهل الى ما هو اصعب . وممّا اجاد فيهِ الباب المختصّ بدرس الفعل فانهُ غاية في الاحكام شرح فيهِ اوّلاً الفعل المجرّد كما يفعل العرب ثمّ انتقل الى الفعل المزيد موضحاً ما بينهُ وبين الفعل المجرّد من العلاقة . وهي الطريقة المثلى لتسهيل درس الافعال هذا وقد استقصرنا الباب المختصّ بالحروف التي تستدعي شروحاً اطول لكنّ المؤلف تلافى هذا الخلل نوعاً بالتمارين التي الحقها بهِ . اما النصوص الامحريّة التي اختارها عقيب التمارين فانّها كثيرة العدد كثيرة التفنن تجمع اصناف الكتابات من امثال وقصص ورسائل وفكاهات ممّا تراهُ جارياً حتى يومنا في انحاء الحبش . فنحن نثني على هذا التأليف المفيد ونحضُّ طالبي اللغة الحبشيّة على درسهِ فيؤدي بهم في وقت قريب الى اتقان اصول هذه اللغة وادراك معانيها

الاب ماريوس شان

الكوكب السيّار

في رحلة غبطة السيّد ماري الياس بطرس الحويك

للقس اغوسطين البستاني الديراني . طُبع في مطبعة الارز (لبنان) ١٩٠٦ ص٢١٢

لمّا رحل غبطة السيّد السند بطريرك الطائفة المارونيّة الجليل في منتصف سنة ١٩٠٥ الى رومية العظمى فعاصمة الفرنسيس فدار السعادة كانت الانباء البرقيّة والرسائل الشخصيّة تفيدنا يوماً بعد آخر عن تفاصيل سفره الميمون فترافقهُ القلوب في حطّهِ وترحالهِ وتتمنّى لهُ كل نجاح وفوز في ذهابهِ وايابهِ وتثلج الصدور بما ينالهُ حيثما نزل من شارات الاكرام وآيات التجلّة والتعظيم حتّى كنّا نودّ لو توخّى احد اعضاء الوفد الماروني الذي سار في خدمة غبطتهِ تسطير اخبار هذه الرحلة فما كان اهلنا ليخيب وها ان حضرة النائب العام في الرهبانيّة الحلبيّة والمرسل الرسولي القس اوغسطين البستاني الديرانيّ قد تولّى هذا العمل فدوّن تاريخ هذه الرحلة الشهيّة بل هذا الانتصار الباهر على اسلوب لطيف جمع بين اللذّة والافادة وزيّنهُ برسوم متعدّدة فنشكر لحضرتهِ حسن مسعاهُ ونحضُّ ابناء طائفتهِ العزيزة على تفكيه اذهانهم بقراءة كتابهِ

الافلاذ الزبرجديّة في مدائح العترة الطاهرة الاحمديّة

للشاعر المجيد تقيّ الدين عبد الحميد افندي الرافعي القاروخيّ

طُبع في طرابلس ص١٢٧ . وثمنهُ ٧ غروش ونصف

هو ديوان شعر جمع فيهِ صاحبهُ الفاضل ما جادت بهِ قريحتهُ من المدائح في السيّد احمد الرفاعيّ الكبير وفي عترتهِ الكريمة خصوصاً اهل البيت الصيادي ذي الفضل والآلاء . ومن تلا هذه القصائد وجدها غرراً تشرّف بها قائلها وشرّف ممدوحيها . وهي تنيف على مئة قصيدة او قطعة تبلغ ابياتها ١٩٨٣ بيتاً . طيّب الله روح ناظمها ل . ش

L'ABBÉ MARIN : Saint Théodore (759-826), 2e édit., Paris, V. Lecoffre, 1906.(Collection « les Saints »)

ترجمة القديس تاودورس

سبق لنا وصف مجموع من سير كبار القديسين يقوم بهِ عددٌ من مشاهير الكتبة في فرنسة على انّ هؤلاء المؤلفين اكتفوا خصوصاً على تأليف تراجم الائمة الغربيين اما اولياء الشرق فلم يكتبوا اعمال احد منهم الّا القديسين العظيمين يوحنا فم الذهب وباسيليوس . وهانذا بترجمة قديس ثالث شرّف الكنيسة القسطنطينيّة بآثارهِ الخطيرة

في القرن التاسع نريد القديس ثاودوسيوس من ستوديوم . وقد اشتهر المذكور بدفاعه عن العقائد الدينيَّة ولاسيَّما حقوق الكنيسة الرومانيَّة لم تأخذهُ في ذلك لومة لائم ولم يردعهُ خوف بشريّ حتى بازاء ملك الروم . فنعم ما صنع صاحب هذا التأليف اذ احيا بوصفهِ اعمال ذلك الرجل العظيم . ومما استحسناهُ في هذا الكتاب فصلهُ الخامس حيث توسَّع المؤلف في انشاء وصف المعامل الشهيرة التي انشأها القديس ثاودوروس في ديرهِ منها للتصوير والنقش ونحت الاشخاص ومنها للحياكة والسكافة ومنها لنسخ الكتب القديمة ومنها لتعليم التراتيل المقدَّسة . فما لبث دير ستوديوم بهمَّة رئيسه ان اضحى مركزًا مهمًّا لكل الاعمال الصناعيَّة والعلوم الفنيَّة . ومع هذه الاعمال الجليلة صار القديس ثاودوروس هدفًا لاضطهادات اعدائهِ مدَّة عشرين سنة تقلبهم بصبرهِ وطول اناتهِ وكان آخر ما اوصى بهِ تلاميذهُ في ساعة موتهِ سنة ٨٠٦ ان قال لهم : «هذه وصاتي الاخيرة ان تصونوا ايمانكم من كلّ بدعةٍ وتحفظوا حياتكم نقيَّة من كل اثم » فترى انَّ هذه السيرة تهمُّ الشرقيين ومحبّي التاريخ البوزنطيّ ليروا حالة الكنيسة القسطنطينيَّة قبل فوطيوس بزمن قليل . ولا تأخذ على كاتبها الَّا بعض اطالات كان في غنًى عنها س . و

شذرات

عيسى المزار كتب لنا حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس شبلي ما نشكرهُ عن افادتهِ قال : اجابةً لطلبكم ان يفيدكم قرَّاء المشرق ما يعرفون من امر عيسى المزار رأيت ان افكركم بوجود ذكر هذا الشاعر في تأليف الكردينال ماي الموسوم بالمجموعة الجديدة للكتبة الاقدمين المجلد الرابع ص ٥٩١ عدد ٦٨٢ (Scriptor. Veter. nova collectio, t. IV, p. 591, cod. DCLXXXII) حيث يصف الكردينال العلامة احد المصاحف المعروفة عندهم بالسمعانيَّة لانها كانت خاصة علماء السماعنة . هذا تعريب كلامه :

« كتاب بقطع ٨/١ على ورق . عدد اوراقه ١١٨ . عربي . وهو يشتمل على قصائد « للمزار » ومرقس وعبدالله ويوحنا وداود ويعقوب ابن شداد وابي مقيطف الشعراء السريان الباقية في مدح العذراء والقديسين . . . وعدد القصائد ٤١ . . . هذا المصحف خطَّ القس ابرهيم الحسني (؟) سنة ١٨٦٨ لليونان (الموافقة للسنة ١٥٥٧ للمسيح) كما هو مرقوم في اخر الكتاب » اه .

فمن هذا الكلام ومن تاريخ المخطوط الواتيكاني يتضح ان المؤلف عاش في القرن السادس عشر وانهُ كان يعقوبيًا .

أسئلة وأجوبة

س سأل احد الادباء من كفرحيّ هل من دواء للأرق اي عدم النوم

دواء الأرق

ج ان مداواة الأرق تختلف كثيرًا مع حالة المصاب به فربَّ دواء ينفع الواحد دون الاخر. فمنهم من يتّخذ الشاي فينام ومنهم من يستعين بالقهوة على خلاف غيرهم الذين يشربونها لليقظة . والبعض يحتقنون بالمرفين وربَّما اضرَّت باعصابهم . ومن الادوية المستحدثة التي تنفع دون ان تهيّج الاعصاب الاتيبيرين والسلفورال والتريونال توجد في بعض صيدليّات بيروت ويجوز الاقطاع عنها دون أذًى . بخلاف المرفين والكلورال . ولعلّ احسن الوسائل لشفاء الأرق الوسائل الصحيّة كالارتياض والاكل القليل ماء والاستحمام بالماء الفاتر

س سأل احد الكهنة المستخدمين في دير الكرمل: ١ً كيف كان ينتخب البابا قبل الجيل الحادي عشر ٢ً هل شريعة الصوم عند الشرقيين تقبل خفّة المادّة ٣ً كم يبلغ عدد كاثوليك الشرق

انتخاب البابوات قبل القرن الحادي عشر – الصوم عند الشرقيين – عدد كاثوليك الشرق

ج نجيب على (الاوّل) انَّ انتخاب البابوات قبل القرن الحادي عشر قد يرى على طرق شتَّى وانَّما الغالب انَّ الاكليروس الروماني هو الذي كان ينتخب الحبر الاعظم على شروط اختلفت اختلافًا عظيمًا . وكثيرًا ما كان يدخل في هذه الانتخابات اعيان رومية مع الشعب وكانوا ايضًا يطلبون رضى الامبراطورة المسيحيين . وجوابنا على (الثاني) ان الصوم عند الشرقيين لا يقبل خفّة المادّة للقادرين عليه لانَّ الصوم عندهم لا يتناول الّا الوقت الوجيز اي من نصف الليل الى الظهر وقسمٌ من هذا الوقت يقضيه الصائم نومًا فلا يقاسي الجوع الّا بضع ساعات . اما اذا اريد بخفّة المادّة الخطيئة الخفيفة فانَّ شريعة الصوم تقبلها فيكون الخطأ خفيفًا ان اكل الصائم او شرب شيئًا زهيدًا . ونجيب على (الثالث) انَّنا كتبنا في الكاثوليك مقالةً موسَّعة (المشرق ٤: ١٠٠٩ و ١٠٨٧)

(اصلاح) وقع في عنوان مقالة ميشال افندي الوف (ص ٤٠) سهوٌ فكُتب «الطرُق في بعلبك وضواحيها» والصواب «الطرق الرومانيَّة في بعلبك وضواحيها» ل . ش